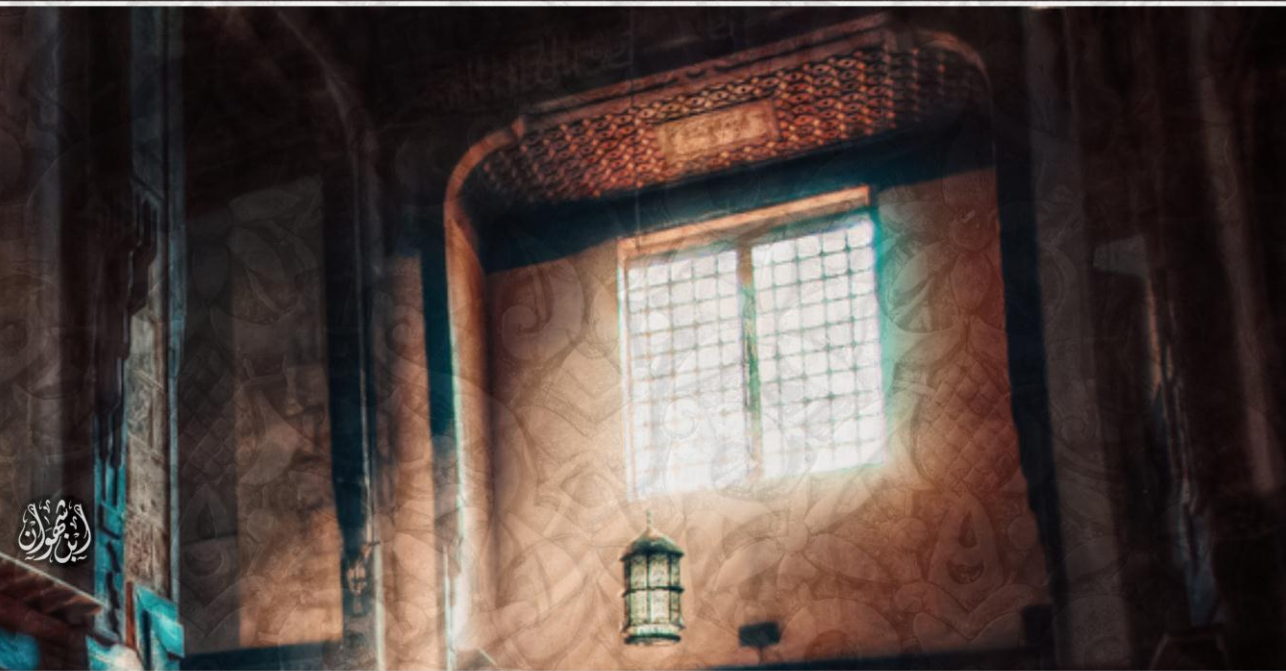


صُورٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ

حَيَاتِ الصَّحَابَةِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ



جَمْعٌ وَرَتِّيبٌ

مِنْ خُطْبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فِصِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رِيسْلَانٍ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

عُلُوْ مَنْزِلَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَسُمُوْ مَكَانَتِهِمْ

فَالنَّاظِرُ فِي نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُدْرِكُ بوضوحٍ وَجَلَاءِ الْفَضْلَ الْعَظِيمَ
وَالْمَنْزِلَةَ الْعَالِيَةَ وَالْمَكَانَةَ السَّامِيَةَ الَّتِي نَالَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أُولَئِكَ
الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ وَاصْطَفَاهُمْ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ ﷺ، وَاخْتَصَّهُمْ بِهَذِهِ
الصُّحْبَةِ الْعَظِيمَةِ، فَقَامُوا بِنُصْرَةِ دِينِهِ جَلَّ وَعَلَا.

أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَنُصْرَةِ دِينِهِ، وَحَمَلَ رِسَالَتَهُ إِلَى خَلْقِهِ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ
وَتَضَحِيَّةٍ، حَتَّى اسْتَقَامَ الْأَمْرُ، وَانْتَشَرَ الدِّينُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي أَرْضِ اللَّهِ -تَعَالَى-
وَبَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَكَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ فَضْلٌ وَمِنَّةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ، وَاسْتَحَقُّوا بِذَلِكَ جَمِيلَ الذِّكْرِ وَعَظِيمَ الثَّنَاءِ مِنَ اللَّهِ -تَعَالَى- فِي كِتَابِهِ
الْعَزِيزِ وَمِنْ رَسُولِهِ ﷺ فِي سُنَّتِهِ الْغَرَّاءِ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي فَضْلِهِمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُمُ الْمُخَاطَبُونَ الْمُشَافَهُونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ بَدْءًا، فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ وَالْخَلْقِ بِالْخَيْرِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ يَدْخُلُ مَعَهُمْ غَيْرُهُمْ، وَلَا يَكُونُ لِغَيْرِهِمْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ إِلَّا مَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَى آثَارَهُمْ وَالتَّزَمَ هَدْيَهُمْ، وَلَا يَكُونُ مِثْلَهُمْ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-.

وَمِمَّا يُبَيِّنُ وَيُوضِّحُ مَنْزِلَةَ الصَّحَابَةِ قَوْلُ رَسُولِنَا ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ^(٢): «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٠].

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث: عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود.

(٢) أخرجها البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث: عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود.

وَيَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِمْ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

وَقَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. (*)

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ أَبِي مَالِكٍ: «هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]» (٢). (٢/*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ أَصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحَمِيدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)، الثَّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٤ هـ | ٢٢-١-٢٠١٣ م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ كَمَا فِي الزَّوَائِدِ عَلَى «الْمُسْنَدِ»: (١٦١/٣)، رَقْم (٢٤٨٠)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: (٢/٢٠)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»: (٢٩٠٦/٩)، وَالثَّعْلَبِيُّ فِي «الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ»: (٢١٨/٧)، مِنْ طَرِيقِ: الْحَكَمِ بْنِ ظَهِيرٍ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْخَزَّازِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، بِهِ.

وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي «الدَّر المنثور»: (١١٣/٥) إِلَى ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذِرِ.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٨ هـ | ٣٠-١٠-٢٠١٦ م.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي نَصَّ فِيهَا رَبُّنَا ﷺ عَلَى فَضْلِ الصَّحَابَةِ وَمَنْزِلَتِهِمْ وَمَا وَعَدَهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مَعَ بَيَانِ رِضَاهُ عَنْهُمْ وَعَنْ سُلُوكِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ؛ لِعَظِيمِ صِدْقِهِمْ فِي عَهْدِهِمْ، وَالتَّزَامِهِمْ بِدِينِ رَبِّهِمْ، وَالذَّبِّ عَنْهُ وَعَنْ نَبِيِّهِ.

وَفِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ كَثِيرٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى فَضْلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ؛ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوْعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»^(١).

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدِهِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ»^(٢).

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُبَيِّنُ فَضْلَ الصَّحَابَةِ أَوْ تَخُصُّ بِالْفَضْلِ طَائِفَةً مِنْهُمْ، أَوْ تَخُصُّ بَعْضَهُمْ، وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ وَعَظِيمِ فَضْلِهِمْ؛ لِسَابِقَتِهِمْ وَصِدْقِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣١)، من حديث: أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٦)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أُمِّ مُبَشَّرٍ امْرَأَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ.

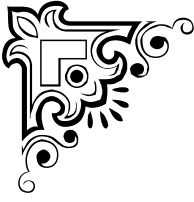
بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ»^(١).

وَالصَّحَابَةُ عُذُولٌ كُلُّهُمْ، هَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ. (*)

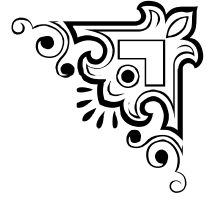


(١) أخرجه أحمد (٣٦٠٠)، من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وصححه إسناده الألباني في «الضعيفة» (١٧ / ٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ أَصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحَمِيدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)، الثَّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٤ هـ | ٢٢-١-٢٠١٣ م.



عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ



أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ «أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُمُ الَّذِينَ شَهِدُوا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ، وَعَرَفُوا التَّفْسِيرَ وَالتَّأْوِيلَ، وَهُمْ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ ﷻ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنُصْرَتِهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَإِظْهَارِ حَقِّهِ، فَرَضِيَهُمْ لَهُ صَحَابَةٌ، وَجَعَلَهُمْ لَنَا أَعْلَامًا وَقُدُورَةً، فَحَفِظُوا عَنْهُ ﷺ مَا بَلَّغَهُمُ عَنْ اللَّهِ -تَعَالَى- عَنْ طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَا سَنَّ وَشَرَعَ، وَحَكَمَ وَقَضَى، وَنَدَبَ وَأَمَرَ، وَنَهَى وَحَظَرَ، وَأَدَبَ وَأَرْشَدَ، وَوَعَوْهُ وَاتَّقَنُوهُ.

فَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ، وَعَلِمُوا أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ وَمُرَادَهُ، فَشَرَّفَهُمُ اللَّهُ ﷻ بِمَا مَنَّ عَلَيْهِمْ وَأَكْرَمَهُمْ بِهِ مِنْ وَضْعِهِ إِيَّاهُمْ مَوْضِعَ الْقُدُورَةِ، فَنَفَى عَنْهُمْ الشَّكَّ وَالْكَذِبَ وَالْغُلْطَ وَالرِّيْبَةَ وَالْغَمَزَ، وَسَمَّاهُمْ عُدُولَ الْأُمَّةِ، فَقَالَ -عَزَّ ذِكْرُهُ- فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾، فَفَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ اللَّهِ -عَزَّ ذِكْرُهُ- قَوْلَهُ: ﴿وَسَطًا﴾، قَالَ: «عَدْلًا»، عُدُولًا خِيَارًا، فَكَانُوا عُدُولَ الْأُمَّةِ، وَأَيْمَّةَ الْهُدَى، وَحُجَجَ الدِّينِ، وَنُقَلَّةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَنَدَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى التَّمَسُّكِ بِهِدْيِهِمْ، وَالْجَرِيِّ عَلَى مِنْهَاجِهِمْ، وَالسُّلُوكِ لِسَبِيلِهِمْ، وَالْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ، فَقَالَ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ

بَعْدَ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿[النساء: ١١٥]﴾ (١).

وَأُولَى مَنْ انْطَبَقَ عَلَيْهِمْ سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْأَمِينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَيَانِ الْإِعْتِقَادِ الْوَاجِبِ نَحْوَ الصَّحَابَةِ (٢): «حُبُّهُمْ
سُنَّةٌ، وَالِدُعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ، وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِمْ وَسِيلَةٌ، وَالْأَخْذُ بِأَرَائِهِمْ فَضِيلَةٌ، وَخَيْرُ
هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَخَيْرُهُمْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ، وَخَيْرُهُمْ بَعْدَ عُمَرَ
عُثْمَانُ، وَخَيْرُهُمْ بَعْدَ عُثْمَانَ عَلِيٌّ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - خُلَفَاءُ رَاشِدُونَ
مَهْدِيُّونَ».

وَقَالَ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٣): «وَنَحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَا
نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَنُغَيِّرُ
الْخَيْرَ يَذْكُرُهُمْ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ
كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ».

وَنُشِبْتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ تَفْضِيلًا
لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

(١) في «الجرح والتعديل» (١ / ٧).

(٢) أخرجه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١ / ٣٠) (المعرفة - بيروت)، من طريق:
أبي العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الأصبخري، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ
مُحَمَّدَ بْنِ حَنْبَلٍ: «هَذِهِ مَذَاهِبُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَصْحَابِ الْأَثَرِ...» فَذَكَرَهُ.

(٣) في «العقيدة الطحاوية» (ص / ٨١ : ٨٢) (المكتب الإسلامي - بيروت) (ط / ١).

ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وَهُمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّونَ،
«وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ
كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُطَهَّرِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ.. مَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِيهِمْ؛ فَقَدْ
بَرَى مِنَ النِّفَاقِ».

هُوَ بَعْضُ مَا يَتَعَلَّقُ بِفَضْلِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) وَبِالْوَجِبِ نَحْوَهُمْ.
وَأَمَّا سَبُّهُمْ وَشَتْمُهُمْ، فَالنُّصُوصُ وَالْأَقْوَالُ فِي النَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ
وَبَيَانِ عَاقِبَةِ مَنْ وَقَعَ فِيهِ كَثِيرَةٌ ضَافِيَةٌ مِنْهَا:

قَوْلُ الرَّسُولِ (ﷺ): «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١). وَهَذَا
أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا».

وَقِيلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ - وَهُوَ مِنْ هُوَ - يُقَدِّمُ عَلَى
مُعَاوِيَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، فَقَالَ: «وَاللَّهِ! لَغَبَارُ أَنْفٍ فَرَسٍ مُعَاوِيَةَ فِي مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِهِ مَعَ
الرَّسُولِ خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).
(٢) صحيح، أخرجه الآجري في «الشریعة» (١٩٥٥)، والأصبهاني في «الحجة» (٢/ ٤٠٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٩ / ٢٠٧)، «قيل لعبد الله بن المبارك: مُعَاوِيَةُ خَيْرٌ
أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: تُرَابٌ دَخَلَ فِي أَنْفِ مُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ (ﷺ) خَيْرٌ - أَوْ أَفْضَلُ - مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَمُرُوا بِالْإِسْتِغْفَارِ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَسَبُّهُمْ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً»^(٢). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَفِي رِوَايَةٍ: «خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرُهُ»^(٣).

وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «السَّيْفُ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِتْنَةً، وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مَفْتُونٌ»^(٤).

وَقَالَ بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ: قَالَ لِي الْأَوْزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا بَقِيَّةُ! لَا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ ﷺ إِلَّا بِخَيْرٍ، يَا بَقِيَّةُ! الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا لَمْ يَجِئْ عَنْهُمْ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ»^(٥).

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٢)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٤، ١٧٣٨)، من حديث: عائشة.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢٠، ١٧٢٩)، عن عبد الله بن عمر، قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

(٣) صحيح، أخرجه ابن ماجه في «السنن» (١٦٢)، عن عبد الله بن عمر، قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرُهُ».

(٤) ذكره الذهبي في «السير» (٨ / ٤٠٥)، فقال: قال ابن المبارك: «السيف الذي كان بين الصحابة كان فتنة، ولا أقول لأحد منهم مَفْتُونٌ».

(٥) صحيح، أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٤٢٠، ١٤٢١) (دار ابن الجوزي، السعودية)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥ / ٢٠١)، عن بَقِيَّةِ بْنِ الْوَلِيدِ،

وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ» (١).

تَأَمَّلْ فِي كَلَامِ ذَلِكَ الْحَبَرِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا»، أَحَدًا.. لَيْسَ شَرْطًا أَنْ يَنْتَقِصَهُمْ جُمْلَةً، وَلَكِنْ «يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَجْرَحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرَحُ بِهِمْ أَوْلَى، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ»؛ لِأَنَّهُ إِذَا سَقَطَتِ الثَّقَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، مَنِ الَّذِي نَقَلَ إِلَيْنَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ!!

أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، الَّذِي يَطْعَنُ فِي عَدَالَةِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ زَنْدِيقٌ؛ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَجْرَحَ شُهُودَنَا لِيُبْطَلَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرَحُ بِهِمْ أَوْلَى، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ.. كَمَا قَالَ أَبُو زُرْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

=

قَالَ: قَالَ لِي الْأَوْزَاعِيُّ: «يَا بَقِيَّةُ، الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا لَمْ يَجِئْ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ، يَا بَقِيَّةُ، لَا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ ﷺ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا أَحَدًا مِنْ أُمَّتِكَ، وَإِذَا سَمِعْتَ أَحَدًا يَقَعُ فِي غَيْرِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَقُولُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ»

(١) صحيح، أخرجه الخطيب في «الكفاية» (ص / ٤٩) (المكتبة العلمية - المدينة المنورة)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٨ / ٣٢)، عن أبي زرعة أنه قال: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجْرَحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرَحُ بِهِمْ أَوْلَى، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ».

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسُوءٍ، فَاتَّهَمَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ»^(١).

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢): «وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسُّتَيْهِمِ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَقَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ مُبَيِّنًا حَقِيقَةَ فَضْلِ الصَّحَابَةِ: «وَلَوْ لَمْ يَرِدْ مِنَ اللَّهِ ﷻ وَرَسُولِهِ فِيهِمْ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ، لَأَوْجَبَتِ الْحَالُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا مِنَ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ وَالنُّصْرَةِ، وَبَذْلِ الْمُهْجِ وَالْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ، وَالْمُنَاصَحَةِ فِي الدِّينِ، وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ؛ لَأَوْجَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ الْقَطْعَ عَلَى عَدَائِهِمْ، وَأَوْجَبَ الْقَطْعَ بِاعْتِقَادِ نَزَاهَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُعَدَّلِينَ وَالْمُزَكَّينَ الَّذِينَ يَحْيِيُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدًا»^(٣).

(١) صحيح، أخرجه أبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٣ / ٣١٧) (ط / الأوقاف، قطر)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢٣٥٩)، والقاضي المارستان في «المشيخة الكبرى» (٢ / ٧٦٦) (دار عالم الفوائد)، والأصبهاني في «الحجة» (٢ / ٣٩٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩ / ٢٠٩)، من طريق: عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمَيْمُونِي، قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: «مَا لَهُمْ وَلَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»، وَقَالَ لِي: «يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِذَا رَأَيْتَ أَحَدًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسُوءٍ فَاتَّهَمَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ».

(٢) في «مجموع الفتاوى» (٣ / ١٥٢).

(٣) في «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص / ٤٨).

ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَذْهَبُ كَافَّةِ الْعُلَمَاءِ، وَمَنْ يُعْتَدُ بِقَوْلِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ» (١).

فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا تَجَاهُ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا ﷺ: سَلَامَةٌ قُلُوبِنَا وَالسِّتْنَا لَهُمْ، وَنَشْرُ فَضَائِلَهُمْ، وَالْكَفُّ عَنْ مَسَاوِيهِمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَالتَّنْوِيهُ بِشَأْنِهِمْ كَمَا نُوهِ - تَعَالَى - بِذِكْرِهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَثَبَّتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فِي الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ مِنَ الْأُمَمَاتِ وَغَيْرِهَا فِي فَضَائِلِهِمْ.

وَلَكِنَّ الْمَخْذُولِينَ حَادُوا عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَعَنْ هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَطْلَقُوا أَلْسِنَتَهُمْ فِيمَنْ لَا يَرْقَى الْوَاحِدُ مِنْهُمْ - مَهْمَا عَمِلَ وَعَلِمَ - إِلَى مَوَاطِنِ أَقْدَامِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ. (*)

وَنَعْلَمُ وَنَعْتَقِدُ أَنَّ «اللَّهُ - تَعَالَى - أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» (٣). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ.

وَنَعْلَمُ وَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» (٤).

(١) في «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص / ٤٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ أَصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحَمِيدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)، الثَّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٤ هـ - ٢٢ - ١ - ٢٠١٣ م.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)، ومسلم

(٢٤٩٤)، من حديث: عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٩٦)، من حديث: جَابِرٍ، عَنْ أُمِّ مَيْسَرٍ.

وَنَشْهَدُ بِأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْقُرُونِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْأُمَمِ، وَأَنَّ «مَنْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ لَمْ يَبْلُغْ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١)، مَعَ الْإِعْتِقَادِ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الْخَطَأُ، وَلَكِنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ؛ لِلْمُصِيبِ مِنْهُمْ أَجْرَانِ، وَلِمَنْ أَخْطَأَ أَجْرٌ وَاحِدٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ، وَخَطْوُهُ مَغْفُورٌ.

وَلَهُمْ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالصَّالِحَاتِ وَالسَّوَابِقِ مَا يُذْهِبُ سَيِّئَ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ إِنْ وَقَعَ، وَهَلْ يُغَيِّرُ يَسِيرُ النَّجَاسَةِ الْبَحْرِ إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ؟!! (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).

وكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا، وَنَبْرًا مِنْ كُلِّ مَنْ وَقَعَ فِي صَدْرِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِهِ سُوءٌ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ أَوْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُشْهِدُ اللَّهَ -تَعَالَى- عَلَى حُبِّهِمْ وَمَوَالَتِهِمْ، وَالذَّبِّ عَنْهُمْ مَا اسْتَطَعْنَا؛ حِفْظًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَصِيَّتِهِ؛ إِذْ يَقُولُ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»^(٢)، وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي»^(٣)، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٧٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٤١)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٨٦٢)، وَأَحْمَدُ (١٦٨٠٣، ٢٠٥٤٩، ٢٠٥٥٠، ٢٠٥٧٨)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا

وَقَالَ ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَتَمَسَّكُوا بِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»^(١). وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ مَوْقِفُهُمْ مِنَ الْإِخْتِلَافِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فِي وَقْتِ الْفِتْنَةِ مُحْكُومٌ بِهَذَا الْمَوْقِفِ الْعَامِّ تَجَاهِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، وَالْحُرُوبُ الَّتِي حَصَلَتْ بَيْنَهُمْ وَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْإِخْتِلَافِ، فَمَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِمَّا يُنسَبُ إِلَى الصَّحَابَةِ مِنْ مَسَاوِيٍّ وَمَثَالِبٍ اتَّخَذَهَا أَعْدَاءُ اللَّهِ سَبِيًّا لِلْوَقِيعَةِ فِيهِمْ وَالنَّيْلِ مِنْهُمْ.. فَمَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهُمْ: أَنَّهُمْ يُمَسِّكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ.

فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ بَعْدَ مَقْتَلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نِزَاعَاتٌ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ بَعْدَ مَقْتَلِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَوَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ مَا وَقَعَ مِمَّا أَدَّى إِلَى الْقِتَالِ، وَهَذِهِ الْقَضَايَا مَشْهُورَةٌ، وَقَدْ وَقَعَتْ بِلاَ شَكٍّ عَنْ تَأْوِيلٍ وَاجْتِهَادٍ، كُلُّ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ.

=

تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَيُحِبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَيَبْغِضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ».

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٤٠٨)، مِنْ حَدِيثِ: زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ عَائِشَةَ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ قَاتَلَا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَأَنَّ عَلِيًّا عَلَى حَقٍّ! وَاعْتَقَادُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ لَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونُوا قَدْ أَصَابُوا الْحَقَّ، وَلَكِنْ إِذَا كَانُوا مُخْطِئِينَ وَنَعَلِمُ أَنَّهُمْ لَمْ يُقْدِمُوا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا عَنِ اجْتِهَادٍ، فَإِنَّهُ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١).
وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَالْقَوْلُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ مُجْتَهِدُونَ، فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ.

هَذَا مَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا تَجَاهِ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفَضَائِلُ الصَّحَابَةِ بِإِجْمَالٍ هِيَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْهَجْرَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالنُّصْرَةُ لِدِينِ اللَّهِ، وَالْعِلْمُ النَّافِعُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَهُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

فَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ، عِلْمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، من حديث: عَمْرِو بْنُ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ».

إِذَا نَظَرْتَ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَإِنْصَافٍ فِي مَحَاسِنِ الْقَوْمِ وَمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمْتَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، فَهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ أَصْحَابِ عِيسَى، وَخَيْرٌ مِنَ النَّبِيِّينَ أَصْحَابِ مُوسَى، وَخَيْرٌ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ نُوحٍ وَمَعَ هُودٍ وَغَيْرِهِمْ.

لَا يُوجَدُ أَحَدٌ فِي أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالْأَمْرُ فِي هَذَا ظَاهِرٌ مَعْلُومٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وَخَيْرُنَا الصَّحَابَةُ، وَلَآنَ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَيْرُ الْخَلْقِ فَأَصْحَابُهُ خَيْرُ الْأَصْحَابِ بِلَا شَكٍّ، هَذَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. (*)

مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَعْتَقِدُ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً وَمَكَانَةً عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ جَمِيعًا مُشْتَرِكُونَ فِي هَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، مَشْمُولُونَ بِجَمِيلِ الشَّاءِ وَالْكَرَامَةِ وَالْوَعْدِ الْحَسَنِ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. (* / ٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ أَصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحَمِيدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ: الْوَاجِبُ عَلَيْنَا تَجَاهَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَحُكْمُ مَنْ سَبَّهُمْ، وَذِكْرُ تَبَائِيهِمْ فِي الْفَضْلِ)، الْأَرْبَعَاءُ ١١ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٤هـ | ٢٣-١-٢٠١٣م.

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ أَصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحَمِيدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)، الثَّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٤هـ | ٢٢-١-٢٠١٣م.

تَرْبِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمَ جِيلٍ فِي التَّارِيخِ

لَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»^(١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَادِمِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ، قَالَ: «قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -: «انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَزُورُهَا كَمَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَزُورُهَا».

قَالَ: «فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا؛ بَكَتْ»؛ حِينَ رَأَتْهُمَا.

فَقَالَا لَهَا: «مَا يُبْكِيكِ؟! مَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ؟!»، أَمَا تَعْلَمِينَ

أَنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ؟!!

فَقَالَتْ: «مَا أَبْكِي أَنِّي لَا أَكُونُ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ»؛ فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةَ: ﴿لَهُ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾».

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٤ / ١٩٠٧ - ١٩٠٨، رقم ٢٤٥٤).

قَالَ أَبِي: «وَسَمَّانِي؟!!».

فَقَالَ: «نَعَمْ»؛ فَبَكَى.

يَقُولُ أَبِي لِلنَّبِيِّ ﷺ مُتَسَائِلًا: هَلْ سَمَّانِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَتَقْرَأَ عَلَيَّ خَاصَّةً؛
أَمْ أَمْرَكَ بِأَنْ تَقْرَأَ السُّورَةَ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِكَ فَانْتَدَبْتَنِي لِذَلِكَ؟؟!

أَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَصْدًا، أَمْ مِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبَعًا؟؟!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- رَأْسًا».

قَالَ أَبِي: «وَسَمَّانِي؟!!».

قَالَ: «نَعَمْ»؛ فَبَكَى أَبِي ﷺ فَرَحًا وَسُرُورًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَوْ وَجَلًا وَخَوْفًا
أَلَّا يَقُومَ بِحَقِّ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَهُمَا قَوْلَانِ لِعُلَمَائِنَا -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ-.

وَعَدَّ عَنْكَ ذَلِكَ، وَتَأَمَّلْ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ
أَقْرَأَ عَلَيْكَ سُورَةَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾».

وَحُيِّ يَتَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَلْسَلًا فِي سَلْسَلٍ، آيَاتٌ تَتَرَقَّرُ
بِنُورِ الْحِكْمَةِ مُتَنَزِّلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُرَبِّي جِيلَ
الصَّحَابَةِ عَلَى يَدَي نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ تَرْبِيَةً فَدَّةً حَقًّا، عَجِيبَةً جَدًّا؛ لِأَنَّ الْجِيلَ
الْأَوَّلَ الَّذِي شَهِدَ الْحَيَاةَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ وَالْوَحْيِ يَتَنَزَّلُ مِنْ لَدُنْ رَبَّنَا -جَلَّتْ
قُدْرَتُهُ- عَلَى قَلْبِ نَبِيِّهِ ﷺ... هَذَا الْجِيلُ عَاشَ فِتْرَةً فِي الْحَيَاةِ عَجِيبَةً غَرِيبَةً بِحَقِّ
وَصِدْقٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ كَانَ يَبِيتُ وَيُصْبِحُ وَفِي ضَمِيرِهِ وَفِي يَقِينِهِ وَفِي

خَلَدِهِ لَا يَغِيبُ عَنْ عَيْنِي قَلْبِهِ أَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ سَامِعُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مُبْصِرُهُ، وَأَنَّهُ رُبَّمَا أَصْبَحَ أَوْ أَمْسَى وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَكْشِفُ حَيِّئَةَ نَفْسِهِ، وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ يُخْرِجُ مَكْنُونَ صَدْرِهِ، وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يُخْرِجُ الْخَبِيءَ مِنْ أَمْرِهِ.

فَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَمَا مِنْ هَاجِسٍ يَهْجِسُ فِي النَّفْسِ وَلَا خَاطِرٍ يُلَوِّحُ فِي أَفْقِ الْعَقْلِ إِلَّا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ.. إِلَّا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خَيْرٌ بِهِ عَلِيمٌ بِأَمْرِهِ.

فَكَانَ الْأَصْحَابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَعِيشُونَ فِتْرَةً حِينَ كَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ.. فِتْرَةً عَجِيبَةً بِحَقٍّ، وَرَبَّاهُمْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْأَحْدَاثِ الْمَرِيرَةِ، وَأَتَاهُمْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، فَكَانُوا حَقًّا بَاقَةَ الْوَرْدِ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بُسْتَانِ الصَّبْرِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُصِيبُهُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُصِيبُهُ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَكْتَفِي بِنُزُولِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يَدْعُ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِكِتَابِهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِيَمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَيُخْرِجَ مَكْنُونَاتِ صُدُورِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْزِضُهُمْ عَلَى كِبَرِ الْمُحَنَةِ، وَيُدْخِلُهُمْ أَتُونِ الْفِتْنَةَ، حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنَ الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ؛ خَرَجُوا ذَهَابًا صَرَا حَا خَالِصًا لَا شَائِبَةَ فِيهِ، وَلَا كُدُورَةَ تَعْتَرِيهِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُودُ الْمَسِيرَةَ -مَسِيرَةَ الْبَشَرِيَّةِ- بَعْدَ إِذْ أَعْلَنَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ أَنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^(١)، وَأَنَّ الْأَمْرَ قَدْ رَجَعَ إِلَى نِصَابِهِ مِنْ غَيْرِ مَا تَزْيِيفٍ لِمُزْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ لِمُحَرِّفٍ، وَمِنْ غَيْرِ مَا شَائِبَةٍ تَعْلُقُ بِذَاكِرَةِ الْبَشَرِيَّةِ بَعْدَ بَعْثَةِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ﷺ وَالرَّسُولَةِ.

كَانَ رَبُّكَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- بِسُنَّتِهِ الَّتِي مَضَتْ فِي أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ يُمَحِّصُ الْأَصْحَابَ ﷺ، وَكَانَ وَعِيَهُمْ فَائِقًا، وَكَانَ حِسُّهُمْ ثَاقِبًا، وَكَانَ بَصَرُهُمْ نَافِذًا، وَكَانُوا بِحَقِّ عَلَى قَدْرِ الْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُلْقَاءَ عَلَى أَعْتَاقِهِمْ، يَحْمِلُونَهَا فِي حَيَاتِهِمْ، وَيُبْلِغُونَهَا إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ لِتَصِلَ إِلَيْهِمْ نَقِيَّةً مِنْ كُلِّ زَيْفٍ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، فَادَّوُوا الْأَمَانَةَ ﷺ، وَكَانُوا سَابِقِينَ بِحَقِّ كَمَا أَرَادَ رَبُّكَ جَلَّ وَعَلَا لِلْجِيلِ الَّذِي اصْطَفَاهُ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ مُصَاحِبًا لِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ ﷺ وَالرَّسُولَةِ.

كَانُوا يُحْسِنُونَ أَنَّ الْوَحْيَ عِنْدَمَا يَتَنَزَّلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَهِيَ النِّعْمَةُ الْكُبْرَى، وَهِيَ الْمِنَّةُ الْعُظْمَى؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا انْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ يَصِلَانِ مَنْ كَانَ يُحِبُّ نَبِيَّهُمْ ﷺ بَعْدَ مَمَاتِهِ، يَصِلَانِ مَنْ كَانَ يَصِلُهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ، وَهِيَ لَمَحَّةٌ مِنْ لَمَحَاتِ الْوَفَاءِ عَزَّ نَظِيرُهَا، وَقَلَّ مِثْلُهَا إِلَّا فِي هَذَا الْجِيلِ الَّذِي صَاغَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ الْوَفَاءَ مُجَسَّمًا، فَكَانَ حَيًّا يَتَحَرَّكُ فِي أَشْخَاصٍ، وَكَانَ مَاثِلًا يَبْدُو فِي ذَوَاتٍ وَأَرْكَانٍ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَى الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ-.

«انْطَلَقَ بَنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ يَزُورُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»، وَأُمُّ أَيْمَنَ حَاضِنَةٌ نَبِيًّا ﷺ مِنْ بَعْدِ وَفَاةِ أُمِّهِ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٦/ ٢٩٣، رقم ٣١٩٧)، ومسلم في «الصحيح»:

(٣/ ١٣٠٥ - ١٣٠٦، رقم ١٦٧٩)، من حديث: أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهَا وَيُجَلِّهَا ﷺ، فَلَمَّا مَاتَ؛ جَاءَ هَذَا الْخَاطِرُ فِي قَلْبِ الصَّدِّيقِ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِ الْفَارُوقِ لِكَيْ يَزُورَا مَعًا أُمَّ أَيْمَنَ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا-، «انْطَلِقْ بِنَا نَزُورُ أُمَّ أَيْمَنَ كَمَا كَانَ يَزُورُهَا النَّبِيُّ ﷺ».

فَلَمَّا تَحَصَّلَا عِنْدَهَا، وَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهَا، لَمَّا رَأَتْهُمَا -وَكَانَتْ تَرَاهُمَا دَائِمًا مَعَ الْحَبِيبِ ﷺ، وَالْآنَ أَتَيْنَ شَخْصُهُ؟!! وَأَيْنَ رَاحَ جِسْمُهُ؟!! فَاثْبَدَتِ الدُّمُوعُ بِعَيْنَيْهَا تَسْحُ سَحًّا، وَأَقْبَلَا عَلَيْهَا يُوَاسِيَانَهَا، وَيُؤَمِّلَانِ خَيْرًا، فَقَالَا: «أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ جَلٌّ وَعَلَا هُوَ خَيْرٌ لِنَبِيِّهِ ﷺ؟!!»، وَأَنَّهُ قَدْ انْتَقَلَ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَأَنَّ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ بَرْزَخًا وَمَالًا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ الْفَانِيَةِ الَّتِي هِيَ مُصْطَرَعٌ لِلْأَحْدَاثِ وَمُعْتَرَكٌ لِلنِّيَّاتِ، وَالَّتِي يَتَلَاطَمُ فِيهَا هَذَا الْبَاطِلُ عَلَى سَاحِلِ الْخَيْرِ يَنْحَسِرُ عَنْهُ حِينًا، وَيَطْغَى عَلَيْهِ حِينًا؟!! أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ «مَا عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ خَيْرٌ لِنَبِيِّهِ ﷺ؟!!».

وَتَقُولُ الْمَرْأَةُ الْمُؤْمِنَةُ الَّتِي حَضِنَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَغِيرًا، فَكَانَ فِي حَضَانَتِهَا ﷺ: «مَا أَبْكِي أَنِّي لَا أَكُونُ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ»، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ، فَأَخَذَا يَذْرِفَانِ الدُّمُوعَ يَسْحَانِهَا سَحًّا، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَقَعَدَا يَبْكِيَانِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا-.

كَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، وَهِيَ فِتْرَةٌ مُتَمِيزَةٌ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، كَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ لِكَيْ يَقُولَ: يَا فَلَانُ! أَسْرَرْتَ فِي نَفْسِكَ

كَذَا، وَأَعْلَنْتَ كَذَا، وَعَمِلْتَ فِي الْخَفَاءِ كَذَا وَفِي الْعَلَنِ كَذَا، وَيَا فُلَانُ! وَيَا فُلَانُ! بِذَاتِهِ يُخَاطِبُهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيُكَلِّمُهُ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، يُكَلِّمُهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ إِلَيْهِ، عِنْدَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ كَاشِفًا، وَعِنْدَمَا تَتَعَرَّى النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ؛ فَإِذَا هِيَ مُتَجَرِّدَةٌ مِنْ كُلِّ رِذَاءٍ وَكِبْسَاءٍ، وَإِذَا هِيَ وَاقِفَةٌ فِي حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ التَّجَرُّدِ الْفَذِّ، يَعْتَرِيهَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْإِشْفَاقِ وَالْوَجَلِ، وَمِنْ الْمَحَبَّةِ وَالْإِقْبَالِ؛ يَا فُلَانُ! أَسْرَرْتَ كَذَا، مِنْهُ إِلَيْهِ!!

عِنْدَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَالْمَرْءُ فِي خَلْوَتِهِ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ سَامِعٌ إِلَيْهِ، وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ شَيْءٌ.

فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يُرَبِّي الْأُمَّةَ بِدُرُوسِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَلَكِنَّ الْأَصْحَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَثْبُتُونَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فِي مَهَبِّ الْأَعَاصِيرِ، تَأْتِي إِلَيْهِمْ يَثْنُونَ مَعَهَا حِينًا وَيَسْتَقِيمُونَ حِينًا، وَفِي كُلِّ الْحَالَاتِ لَا يَخْرُجُونَ عَنِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْإِنْسَانَ عَلَيْهَا.

وَهَذَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ - مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّكُمْ ﷺ - يُقَرِّرُ قَاعِدَةً مِنَ الْقَوَاعِدِ الْجَلِيلَةِ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، تَأْتِي فِي حِينِهَا - بِحَوْلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقُوَّتِهِ - كَمَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِهِ» (١) عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التِّيمِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَخَذَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «يَا حُذَيْفَةُ! أَدْرَكْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟».

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٣/ ١٤١٤ - ١٤١٥، رقم ١٧٨٨).

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «وَتَرَكْتُمُوهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ؟! أَمَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ الرَّسُولَ ﷺ؛ لَقَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ».

فَقَالَ: «وَيْحَكَ! لَا تَقُلْ هَكَذَا، فَإِنَّا كُنَّا وَكُنَّا - عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -».

وَهَاهُنَا يَتَأْتِي ذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي قَرَّرَهُ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَلْحَظَ الْجَانِبَ الْبَشَرِيَّ فِي نَفْسِهِ، وَأَلَّا يَغْلُو فِي فِكْرِهِ، وَأَلَّا يَشْتَطَّ فِي خَيَالِهِ فَيَسْبَحَ مَعَهُ فِي مَسَابِحِ الْوَهْمِ، حَيْثُ يَتَلَكَّأُ هُنَالِكَ فِي جَنَابَاتِ خَيَالِهِ، ثُمَّ لَا يَعُودُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِقَبْضِ الرِّيحِ، لَا يَتَحَصَّلُ مِنَ الْحَقِيقَةِ عَلَى شَيْءٍ!!

وَمَنْ أَدْرَاكَ أَنَّكَ لَوْ كُنْتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ لَمْ تَكُنْ عَدُوًّا لِلرَّسُولِ ﷺ؟!!!

يَقُولُ الْقَائِلُ: لَوْ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَكُنْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ!!

وَيْحَكَ! وَمَنْ أَدْرَاكَ؟!!!

مَنْ أَدْرَاكَ أَنَّكَ لَوْ كُنْتَ مَعَهُ؛ لَمْ تَكُنْ أَبَا جَهْلٍ بِقَضِهِ وَقَضِيضِهِ وَشَحْمِهِ وَلَحْمِهِ؟!!!

وَمَنْ أَدْرَاكَ؟!!!

فَالْأَمْرُ قَائِمٌ عَلَى قِسْمَةٍ ثُنَائِيَّةٍ لَا يَزِيدُ شَيْءٌ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ مُسْتَوٍ هَكَذَا عَلَى الرَّجْحَانِ مِنْ غَيْرِ رُجْحَانٍ.

النَّبِيُّ ﷺ.. كَمَا سَيَرَوِي حُذِيفَةُ إِيْمَاءٌ وَضُمْنَا، لَا تَصْرِيحًا وَإِعْلَانًا، فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، وَكَانَتْ فِي شَوَالٍ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ إِسْحَاقَ - مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ، وَكَانَتْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ - كَمَا يَقُولُ فِي «الْمَغَازِي» الْوَاقِدِيُّ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى عُلَمَائِنَا أَجْمَعِينَ.. فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَانِي عَنَاءً مُرًّا، كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(١) عَنِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ - يَقُولُ: «لَمْ أَكُنْ أَرَى جِلْدَةَ بَطْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغُبَارِ»؛ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَحْمِلُ التُّرَابَ عَلَى ظَهْرِهِ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْمَلُ فِي الْخَنْدَقِ بِيَدَيْهِ ﷺ، فَكَانَ الْبَرَاءُ إِذَا مَا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لَمْ يَرَ جِلْدَةَ بَطْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُمَيِّزْ لَهَا لَوْنًا مِمَّا تَكَاثَفَ عَلَيْهَا مِنَ الْغُبَارِ وَفِي عُكْنِ بَطْنِ رَسُولِ اللَّهِ، يَقُولُ: «وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعْرِ» ﷺ، يَحْمِلُ التُّرَابَ عَلَى عَاتِقِهِ، «وَوَلَّلْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَطْعُمُ شَيْئًا، وَلَا نَجِدُ ذَوَاقًا»؛ يَعْنِي: لَا طَعَامًا وَلَا شَرَابًا - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا -.

وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ يَقُودُهُمْ؛ حَتَّى فِي مَسِيرَةِ الْجُوعِ يَسِيرُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ رَافِعًا لِيَوَاءَهَا؛ لِكَيْ يَسِيرَ خَلْفَهُ مِنَ الْأَصْحَابِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ مَنْ يَسِيرُ عَلَى قَدَمَيْ نَبِيِّهِ ﷺ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّهَا دُنْيَا فَانِيَةٌ - يَا صَاحِبِي -، وَأَنَّهَا لَا تُسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ شَيْئًا، وَلَوْ كَانَتْ تُسَاوِي شَيْئًا عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ مَا تَرَكَ نَبِيَّهُ ﷺ وَالثَّلَاةُ الْمُؤْمِنَةُ فِي الْخَنْدَقِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَلِيَالِيَهُنَّ لَمْ يَذُوقُوا ذَوَاقًا، كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» - عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ -.

(١) «متفق عليه».

أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٧ / ٣٩٩، رقم ٤١٠٦)، ومسلم في «الصحيح»: (٣ /

١٤٣٠، رقم ١٨٠٣).

وَلَكِنْ كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ كَمَا حَدَّدَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِكُلِّ عَشْرَةٍ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا يَحْفَرُونَهَا حَفْرًا، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ نَقْلًا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ سَلْعٌ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ الْجَبَلُ إِلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْجُنْدِ الْمُقَاتِلَةِ فِي حَامِيَةِ الرُّشْدِ عَنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلِيَكُونَ الْخَنْدَقُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ جُنْدُهُ، وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَاءُوا عَشْرَةَ آلَافٍ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ؛ إِذْ حَزَبَتْ يَهُودُ الْأَحْزَابِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، فَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَرْجَاءِ الْجَزِيرَةِ جَمِيعًا يَنْقُضُونَ أَمْرَهَا نَقْضًا بِكِنَانَةٍ وَاحِدَةٍ؛ لِكَيْ يَسْتَأْصِلُوا شَافَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ.

النَّبِيُّ ﷺ يَعْمَلُ فِي الْخَنْدَقِ بِيَدَيْهِ، وَيَحْمِلُ التُّرَابَ عَلَى ظَهْرِهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَا يَجِدَانِ مِكَتَلًا يَحْمِلَانِ فِيهِ التُّرَابَ، فَيَجْعَلَانِ التُّرَابَ فِي ثَوْبَيْهِمَا، وَيَحْمِلَانِ التُّرَابَ حَمَلًا.

الْأَصْحَابُ جَمِيعُهُمْ قَدْ تَشَعَّتْ رُءُوسُهُمْ -بَلْ تَلَبَّدَتْ رُءُوسُهُمْ- بِهَذَا التُّرَابِ الَّذِي صَبَرَهُ الْعَرَقُ الْمُبَارَكُ طِينًا عَلَى تِلْكَ الرُّءُوسِ؛ لِيَكُونَ فَوْقَ الْهَامَاتِ كَأَنَّهُ التِّيْجَانُ؛ بَلْ هُوَ التِّيْجَانُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَالرَّسُولُ ﷺ لَا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْإِطَارِ، يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ، وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ:

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

يَقُولُهَا النَّبِيُّ ﷺ... يَقُولُهَا مِنْ بَعْدِ انْتِبَاهِهِ مِنْ رَقْدَتِهِ؛ إِذْ أَخَذَ مِنْهُ التَّعَبُ مَاخِذًا عَظِيمًا، فَجَلَسَ ﷺ، ثُمَّ اسْتَنْدَ بِجَانِبِهِ الْأَيْسَرِ إِلَى صَخْرَةٍ هُنَالِكَ، فَأَخَذَ النَّوْمَ بِمَعَاقِدِ أَجْفَانِهِ، وَوَقَفَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَاحِيَّتَيْهِ يُرْدَانِ النَّاسَ؛ لِكَيْ

يَسِيرُوا مِنْ بَعِيدٍ؛ حَتَّى لَا يُحْدِثَ أَحَدٌ صَوْتًا، وَلَا يَتَأْتَى مِنْ أَحَدٍ نَامَةٌ بِصَوْتٍ، فَيَسْتَفِظَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ رَقْدَتِهِ، يَنْشُدَانِ لَهُ بَعْضُ الرَّاحَةِ، مِنْ بَعْدِ الْعَنَاءِ، مِنْ بَعْدِ التَّعَبِ، مِنْ بَعْدِ الْجُوعِ، مِنْ بَعْدِ السَّغَبِ ﷺ، فَانْتَبَهَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

وَأَخَذَ مِعْوَلَهُ، وَأَخَذَ يَعْمَلُ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ بِيَدَيْهِ ﷺ.

جَاءَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، وَكَانَ الْيَهُودُ يَخَافُونَ عَلَى الْيَهُودِ مِنْ ذُرَارِيهِمْ، عَلَى صِغَارِهِمْ وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِمْ يَخَافُونَ يَفْرُقُونَ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ أَعْلَاهُمْ وَمِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ؛ فَيَأْتُونَ يَسْتَأْذِنُونَ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَا يَسْتَأْذِنُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَذِنَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ؛ لِأَنَّهُ شَرٌّ يُدْفَعُ، وَهُمْ يَنْجَلِي، وَأَمَّا بَقَاؤُهُمْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَغُصَّةٌ وَشَجَى فِي الْحَلْقِ - وَهُوَ شَوْكَةٌ تَعْتَرِضُ فِي الْحَلْقِ، تَعْتَرِضُ مَسِيرَ الْمَاءِ وَمَسَاغَهُ -، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَأْتِيهِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَذِنَ لَهُ ﷺ.

يَقُولُ الْبَرَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاَعْتَرَضْتَنَا فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ كُذِيَّةٌ - وَهِيَ الصَّخْرَةُ الْعَظِيمَةُ - لَا تَعْمَلُ فِيهَا مَعَاوِلُنَا شَيْئًا»؛ بَلْ تَتَكَسَّرُ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ عِنَادِهَا مِنْ صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ جُلُودٍ قَدْ قَامَتْ هُنَالِكَ.. قَامَتْ قَائِمَةً فِي جَوْفِ الْخَنْدَقِ مُعْتَرِضَةً تَحْدِي بِرَأْسِهَا شَامِخَةً، تَتَكَسَّرُ عَلَيْهَا حَدِيدُ تِلْكَ الْفُؤُسِ الَّتِي أَخَذُوا بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ لَهَا إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ!!؟

فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! اعْتَرَضَتْنا كُذِبَةٌ»؛ لِيَتَأْتِيَ النُّورُ مِنْ قَلْبِ الظَّلَامِ، مُنْفَجِرًا مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، وَيَنْزِلَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ يَذُقْ ذَوَاقًا، يَنْزِلُ الرَّسُولُ ﷺ، فَيَضْرِبُهَا بِمِعْوَلِهِ، فَإِذَا هِيَ كَثِيبٌ أَهِيلٌ.. فَإِذَا هِيَ كَثِيبٌ أَهِيمٌ يَتَنَائَرُ تَرَابًا!!

وَالنَّبِيُّ ﷺ يَضْرِبُهَا بِقُدْرَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْعَنَاءِ الْمُرِّ، وَفِي هَذَا الْعَنْتِ الْعَانِتِ مَعَهُ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لَمَّا جَلَسَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وَذَلِكَ بَعْدَ مَا مَرَّ مَرِيرُ الْأَيَّامِ، وَتَدَافَعَ حَبُوهَا بِسَعْيِهَا نَحْوَ النَّهْيَةِ-، جَلَسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ بِمَا كَانَ هُنَالِكَ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَوْلِيكَ التَّابِعِينَ لَمْ يَشْهَدْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ! أَدْرَكْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَرَأَيْتُمُوهُ؟»؛ أَصَحَبْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ!!

كُنتُمْ مَعَهُ؟ تَرَوْنَهُ وَتُكَلِّمُونَهُ؟ تُخَاطِبُونَهُ وَتُحَدِّثُونَهُ؟ تَسِيرُونَ فِي رِكَابِهِ؟ تَقْعُدُونَ بِقُعُودِهِ؟ وَتَتَطَلَّقُونَ بِانْطِلَاقِهِ؟ كُنتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَجْهَ النَّبِيِّ ﷺ كِفَاحًا، وَتَسْمَعُونَ صَوْتَهُ ﷺ!!

الرَّجُلُ يَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِهِ الشَّوْقُ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ -وَلَا حَرَجَ-، وَلَكِنْ زَادَ الْأَمْرُ عَنْ حَدِّهِ فَانْقَلَبَ إِلَى ضِدِّهِ، قَالَ: يَا حُذَيْفَةُ! عِنْدَمَا رَدَّ عَلَيْهِ حُذَيْفَةُ بِالْإِيجَابِ، قَالَ: «نَعَمْ، كُنَّا نُصَاحِبُهُ وَنَسِيرُ مَعَهُ ﷺ».

فَقَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ! وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ ﷺ؛ لَأَبْلَيْتُ وَقَاتَلْتُ وَجَاهَدْتُ وَنَصَرْتُ».

فَقَالَ: «وَيْحَاكَ! لَا تَقُلْ هَكَذَا؛ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخُنْدَقِ، وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ عَلَى الْأَصْحَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي لَيْلَةٍ وَصَفَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَمْرِ، وَمِنْ شِدَّةِ الْخَطْبِ، وَمِنْ عَظِيمِ الْعَنَاءِ مِمَّا أَصَابَ قُلُوبَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.. مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَكُونُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ؟!».

يَقُولُهَا مَرَّةً فَلَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ ثَانِيَةً فَلَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ ثَالِثَةً فَلَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ، وَلَكَ أَنْ تَتَأَمَّلَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْآنَ؛ نَبِيَّكَ ﷺ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِكَ يَقُولُ: «أَلَا هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَكُونُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ?!»، تَحْطِئُ بِالرَّفْقَةِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَشْتَرِطُ الرَّجْعَةَ، يَشْتَرِطُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَلَرَبَّمَا فَهَمَّهَا الْأَصْحَابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى أَنْ مَنْ ذَهَبَ فَلَمْ يَعُدْ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَحَصَّلُ عَلَى الْوَعْدِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ؛ إِذْ شَرَطَ الرَّجْعَةَ إِلَيْهِ: «يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ».

وَلَكِنْ لَوْ أَنَّكَ تَأَمَّلْتَ فِي الْأَمْرِ بَعِيدًا عَنِ الظَّرْفِ الَّذِي كَانَ فِيهِ؛ مِنَ الْهَوْلِ الْهَائِلِ، وَالشَّدَّةِ الشَّدِيدَةِ، وَالْكَرْبِ الْكَارِبِ، وَمَا كَانَ هُنَالِكَ مِمَّا وَصَفَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْقَرِّ الشَّدِيدِ الَّذِي يَنْخَرُ فِي الْعِظَامِ نَخْرًا، مِنَ الْبَرْدِ الْعَنِيفِ الَّذِي يُحِيطُ الرَّجُلَ يُجَلِّلُهُ، كَأَنَّمَا يَجْعَلُهُ فِي طَوْقٍ مِنْ حَدِيدٍ!!

هَذَا الْبَرْدُ الشَّدِيدُ لَمْ يَكُنْ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الرِّيحُ تَرَأَّرُ كَأَمْثَالِ الْعَوَاصِفِ، وَلَوْ أَخْرَجَ الرَّجُلُ أَصْبَعَهُ لَمْ يَرَهُ، كَمَا قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصْفِ الْحَالِ، وَهُنَالِكَ

مَا هُنَالِكَ مِنْ ذَلِكَ الْخَوْفِ الَّذِي أَخَذَ بِالْقُلُوبِ؛ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَّغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَالَهُمْ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ.

لَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ الْآنَ تِلْكَ الْأَعْيُنَ الَّتِي زَاغَ بَصَرُهَا، وَتِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي عَلَتْ بِخَوْفِهَا حَتَّى بَلَغَتِ الْحَنَاجِرَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

حُذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ لَمْ يَقُمْ لَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-، وَمَعَ أَنَّكَ إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ فِي الْكَلَامِ بَعِيدًا عَنِ الظَّرْفِ الَّذِي قِيلَ فِيهِ؛ تَجِدُ فِيهِ أَوْ تَشُمُّ مِنْ خِلَالِهِ رَائِحَةَ الْوَعْدِ بِالْعُودَةِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ-: «أَلَا هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَكُونُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ؟!»، يَكُونُ رَفِيقَ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ؟ لَمْ يَقُمْ أَحَدًا!

يَقُولُ حُذِيفَةُ: «وَكُنْتُ هُنَالِكَ فِي مِرْطٍ لِامْرَأَتِي -فِي مِلَاعَةٍ لِامْرَأَتِهِ قَدْ تَلَفَحَ بِهَا مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ؛ إِذْ جَعَلُوا النِّسَاءَ خِلْفَةً-، ثُمَّ إِنَّهُ يَقُومُ جَائِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ ﷺ بِإِزَائِي، قَالَ: «يَا حُذِيفَةُ!»، تَقَاصَرْتُ لِلْأَرْضِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هُوَ يُشْفِقُ الْآنَ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَيَعِينُهُ، فَإِذَا مَا عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ، فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ﷺ قَالَ: «يَا حُذِيفَةُ!».

قَالَ: «لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!!»، وَهُوَ يَتَقَاصَرُ إِلَى الْأَرْضِ.

قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذَعْرُهُمْ عَلَيَّ»؛ يَعْنِي: لَا تُحَفِّزْهُمْ عَلَيَّ، حَتَّى إِذَا مَا ظَهَرَ شَخْصُكَ هُنَالِكَ؛ رَبَّمَا ظَنُّوا أَنَّكَ طَلِيعَةُ لِهُجُومٍ شَامِلٍ عَلَيْهِمْ؛ وَحِينَئِذٍ تَكُونُ قَدْ أَثَرَتْ ثَائِرَتُهُمْ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ.

أَمَّا حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: «أَخَذَنِي مِنَ الْبُرْدِ مَا أَقْبَلَ بِي وَأَدْبَرَ، وَأَخَذَنِي مِنَ الْخَوْفِ مَا ارْتَكَزَ فِي الْقَلْبِ ارْتِكَازًا».

وَأَمَّا الرَّسُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْمُرُهُ بِهَذَا الْأَمْرِ فِي صَرَاحَةٍ مَعْهُودَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

«وَلَا تَذَعِرْهُمْ عَلَيَّ»؛ وَلَا تُحَدِّثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي.

يَقُولُ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ مَضَيْتُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى ذَهَبَ مِنِّي وَمِنْ قَلْبِي كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ مِنْ خَوْفٍ وَقَرٍّ، وَكَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ».

فَاجْتَاَزَ الْخَنْدَقَ وَذَهَبَ، وَكَانَتِ الرِّيحُ تَعْمَلُ عَمَلَهَا هُنَالِكَ فِي الْأَخْزَابِ، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، كَانَتْ تَكْفِي الْقُدُورَ، وَكَانَتْ تُطَيِّرُ الْخِيَامَ، وَتَقْتَلِعُ الْأَوْتَادَ، وَتُقَطِّعُ الْأَسْبَابَ تُقَطِّعُ الْحِبَالَ، وَيُلْقِي اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الذُّعْرِ وَمِنَ الرُّعْبِ وَمِنَ الْمَخَافَةِ مَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ عَلِيمٌ.

يَقُولُ حُذَيْفَةُ: «فَلَمَّا تَحَصَّلْتُ هُنَالِكَ؛ كُنْتُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا يُصَلِّي ظَهْرَهُ النَّارَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرْدِ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَبَا سُفْيَانَ قَبْلُ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَدْرَكْتُ أَنَّهُ هُوَ، وَإِذَا بِهِ يَقُولُ: لِيَنْظُرُ كُلُّ مِنْكُمْ جَلِيسَهُ».

وَأَمَّا حُذَيْفَةُ، ذَلِكَ الطَّلِيعَةُ الرَّبِيعَةُ الَّتِي اخْتَصَّهَ الرَّسُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذِهِ الْمُهَمَّةِ الْإِسْطِطْلَاعِيَّةِ الْإِسْتِكْشَافِيَّةِ لِجُنْدِ الْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ الْمَهُولَةِ وَالْمَوْقِعَةِ

الْحَاسِمَةِ، أَمَّا حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَلَا تَغِيبُ عَنْهُ فِطْنَتُهُ، فِي التَّوِّ وَاللَّحْظَةِ يُمَسِّكُ بِيَدَيِ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، يَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟

يَقُولُ: أَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ.

مَنْ أَنْتَ؟

أَنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ.

فَيَقُولُ: نَعَمْ نَعَمْ.

أَمَّا حُذَيْفَةُ؛ فَلَا يَنْتَظِرُ أَنْ يُمَسِّكَ أَحَدٌ بِيَدِهِ لِيَسْأَلَهُ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ بِرِمَامِ الْمُبَادَرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ: «فَلَمَّا رَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ؛ وَضَعْتُ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ، فَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ: «وَلَا تُحَدِّثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي».

حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، يَجِدُ النَّبِيَّ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ صَلَاتِهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ عِبَاءَةٌ، فَجَعَلَ فَضْلَهَا -يَعْنِي: جَعَلَ شَيْئًا مِنْهَا- عَلَى حُذَيْفَةَ؛ لِأَنَّ حُذَيْفَةَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ إِقَاءِ بَيَانِهِ الَّذِي أَتَى بِهِ بَيْنَ يَدَيِ نَبِيِّهِ ﷺ؛ عَادَ الْبَرْدُ إِلَيْهِ، يَقُولُ: «وَإِذَا أَنَا أَفْرَقْتُ^(١) مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ، فَجَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ فَضْلَ الْعِبَاءَةِ عَلَيَّ، وَأَخَذَ يُصَلِّي حَامِدًا رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَشَاكِرًا».

(١) الْقَرْقَفَةُ: الرُّعْدَةُ.

انظر: «لسان العرب»: (٩ / ٢٨٢)، مادة: (قرقف).

يَقُولُ: «وَأَخَذَنِي النَّوْمُ، فَلَمْ أَسْتَيْقِظْ حَتَّى أَصْبَحْتُ».

يَقُولُ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ!»^(١)، فَقَامَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَإِذِنْ؛ فَهَؤُلَاءِ الْأَصْحَابُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُوَارِي مَا جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي ضَمِيرِهِ مِنْ اعْتِمَالِ تِلْكَ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَنَا سِيَاجًا، وَجَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَنَا قَيْدًا مِمَّا فِينَا مِنْ ضَعْفِ بَشَرِيٍّ وَعَجْزِ إِنْسَانِيٍّ، وَلَكِنْ لَا نَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ هَذَا الْقُصُورِ، وَإِنَّمَا نَسْتَدْرِكُ ذَلِكَ كُلَّهُ - بِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَرَحْمَتِهِ - مُتَجَاوِزِينَ إِيَّاهُ، قَافِرِينَ فَوْقَ تِلْكَ الْمَعْوَقَاتِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَصِلَ إِلَى الشَّاطِئِ - بِرَحْمَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - مِنْ غَيْرِ مَا عَجَزَ وَلَا تَوَانٍ، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا عَلَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَتَفَاعَلُونَ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، فَصَنَعَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِمْ فِي التَّارِيخِ مَا لَمْ يَحْدُثْ مِثْلُهُ قَطُّ فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ مُنْذُ كَانَ الْإِنْسَانُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ.

تَسْتَطِيعُ أَنْ تُلَخِّصَ مَا مَضَى كُلُّهُ فِي مَوَاقِفَ مَحْدُودَةٍ، وَفِي دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ لَا يَحْتَاجُ كَثِيرَ تَشْقِيقٍ لِكَلَامٍ، وَلَا يَحْتَمِلُ مَزِيدَ تَفْصِيلٍ بَيَّانٍ؛ لِأَنَّ تَوْضِيحَ الْوَاضِحَاتِ مِنَ الْمُسْكِلاتِ.

هَذَا نَبِينَا ﷺ يَأْتِيهِ وَحْشِيٌّ قَاتِلُ حَمْزَةٍ عَمَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَخِيهِ مِنَ الرِّضَاعِ، وَأَسَدِ اللَّهِ الْمُنَافِحِ عَنْ دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ نَبِينَا

يَأْتِي وَحْشِيَّ مَعَ الرُّسُلِ مِنْ ثَقِيفٍ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَنَالُ الرُّسُلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهِ إِلَّا بِكُلِّ مَعْرُوفٍ، فَمَا رَاعَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَّا وَحْشِيَّ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: «أَنْتَ وَحْشِيٌّ؟».

قَالَ: «نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

قَالَ: «أَنْتَ الَّذِي قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟!».

فَقَالَ: «قَدْ بَلَغَكَ الَّذِي كَانَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ». وَلَمْ يُجِبْهُ بِقَوْلِهِ: قَتَلْتُهُ، وَإِنَّمَا: «كَانَ الَّذِي بَلَغَكَ.. كَانَ الَّذِي بَلَغَكَ»، وَأَنْتَ بِهَذَا الْأَمْرِ عَلِيمٌ.

فَقَالَ: «تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ عَنِّي وَجْهَكَ؟!». فَفَعَلَ، فَلَمْ يَرَ النَّبِيَّ ﷺ وَجْهَهُ حَتَّى انْتَقَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى.

هُنَا أَمْرٌ بَشَرِيٌّ يَعْرِضُ، وَعَدْلٌ نَبَوِيٌّ يَقُومُ، هُنَا أَمْرٌ يَعْتَمِلُ فِي الضَّمِيرِ: «أَنْتَ قَاتِلُ حَمْزَةَ؟!»، أَنْتَ قَاتِلُ الْأَسَدِ غِيلَةً؛ إِذْ تَكْمُنُ لَهُ هُنَالِكَ وَرَاءَ الصَّخْرَةِ، ثُمَّ تَأْتِي بِالْحَرَبَةِ، فَتَجْعَلُهَا مَا بَيْنَ الْعَانَةِ وَالسَّرَّةِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ بَيْنِ وَرَكَيْهِ؟! أَنْتَ قَاتِلُ حَمْزَةَ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَتَحَصَّلَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ -وَلَا حُرِّيَّةَ-؟! أَنْتَ قَاتِلُ الْأَسَدِ غِيلَةً وَاغْتِيَالًا؟!!

أَنْتَ قَاتِلُ حَمْزَةَ؟!!!

يَقُولُ: «بَلَغَكَ الَّذِي كَانَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٧ / ٣٦٧ - ٣٦٨، رقم ٤٠٧٢).

وَلَا يَنَالُ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ مَنَالًا سِوَى أَنْ يَقُولَ: «غَيْبَ عَنِّي وَجْهَكَ، لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَكَ»؛ لِأَنَّهُ أَتَى مُسْلِمًا يَشْهَدُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَإِذْنٌ؛ فَلَتَوَارَ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ مِنْ هَاهُنَا قَوْلًا وَاحِدًا، وَهُنَا يَتَأَتَّى الْعَدْلُ الْقَائِمُ، فَلَا يَنَالُهُ شَيْءٌ، وَمَاذَا يَصْنَعُ لَهُ وَقَدْ أَعْلَنَ الْإِسْلَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ؟!!

وَكَيْفَ يَنَالُ مِنْهُ وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُسْلِمًا وَوَاثِقًا رَسُولًا لِثَقِيفٍ مَعَ وَفْدِهَا؟!!

وَحِينَئِذٍ يَقُولُ: «أَوْتَسْطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ عَنِّي وَجْهَكَ؟!!»، وَلَفْظُ الْإِسْتِطَاعَةِ هَاهُنَا سُؤَالًا وَرَدَّ كَذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» -عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ-، «أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ عَنِّي وَجْهَكَ؟!!»، فَقَطْ لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَكَ، لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى ذَلِكَ الْمَاضِي الدَّامِي يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الدَّمُ.. الدَّمُ الزَّكِيُّ الْمَسْفُوحُ مُنْفَجِرًا مِنْ ذَلِكَ الْجُرْحِ الَّذِي أَحْدَثْتَهُ، لَا أَقُولُ أَحْدَثْتَهُ بِأَدِيمِ حَمْزَةٍ، وَإِنَّمَا أَحْدَثْتَهُ بِأَدِيمِ قَلْبِي.

وَالنَّبِيُّ ﷺ -كَمَا تَعْلَمُونَ- لَمَّا عَادَ مِنْ بَعْدِ أُحُدٍ.. لَمَّا عَادَ مِنْ بَعْدِ مَقْتَلِ الْأَسَدِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَصْحَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَوَجَدَ النِّسَاءَ هُنَاكَ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنَ الشُّهَدَاءِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا-، لَا ذَلِكَ النَّدْبَ الَّذِي نَهَى عَنْهُ الشَّرْعُ الْحَنِيفُ، وَإِنَّمَا كُنَّ يُعَدِّدْنَ الْمَآثِرَ فِيمَا يُعَدِّدْنَ مِنَ الْمَآثِرِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِنَّ-، يَتَفَجَّرُ الْحُزْنُ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُ: «وَلَكِنَّ حَمْزَةً لَا بَوَاكِي لَهَا!»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن»: (١/ ٥٠٧، رقم ١٥٩١)، من حديث: ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِنِسَاءٍ عَبْدٍ الْأَشْهَلِ، يَبْكِينَ هَلَكَاةً يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَكِنَّ حَمْزَةً لَا بَوَاكِي لَهَا» فَجَاءَ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ حَمْزَةً، فَاسْتَقِظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «وَيَحْهَنَّ مَا انْقَلَبْنَ بَعْدُ؟ مُرُوهُنَّ فَلْيَنْقَلِبْنَ، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ».

وَيَذْهَبُ الْأَنْصَارُ ﷺ يَأْمُرُونَ النِّسْوَةَ بِأَنْ يَنْدُبْنَ حَمْزَةً، فَيَقُولُ: «أَلَا جَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا وَجَزَاكُنَّ، أَمْسِكْنَ عَنْ ذَلِكَ» - رَضِيَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنِ الْأَصْحَابِ وَالصَّحَابِيَّاتِ أَجْمَعِينَ وَجَمْعَاوَاتٍ -.

النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي بِهَذَا التَّوَازُنِ الَّذِي بَيْنَهُ حُذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ قَائِمًا مِثَالًا مَضْرُوبًا، مِثَالًا عَمَلِيًّا يَأْتِي بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، لَا يَطْغَى أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ الْمَشَاعِرِ عَلَى قِيَمَةٍ مِنَ الْقِيَمِ مَهْمَا كَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ مِنْ أُمُورِ الْمَشَاعِرِ طَاغِيًا، فَلْيَتَوَقَّفْ عِنْدَ حَدٍّ، وَلْيَنْتَهَ عِنْدَ مُنْتَهَى، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ عَنِّي وَجْهَكَ؟!»، فَكَانَ.

وَمِنْهَا يَأْتِي مَا يَأْتِي مِنْ أَمْرِ فِعْلِ الْفَارُوقِ وَقَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَأْتِيهِ رَجُلٌ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أُرِيدُ أَنْ أُطْلِقَ امْرَأَتِي.

يَقُولُ: وَيَحَكَ! وَلِمَ؟

يَقُولُ: لَمْ أَعُدْ أُحِبُّهَا.

يَقُولُ: أَوْكُلُ الْبُيُوتِ تُبْنَى عَلَى الْحُبِّ، فَأَيْنَ الرِّعَايَةُ وَأَيْنَ التَّدَمُّمُ؟!!

وَهُنَا أَمْرٌ يَحْدُثُ فِي الْقَلْبِ مَا يَحْدُثُ بِسَبَبِهِ مِنْ اخْتِلَالٍ وَاضْطِرَابٍ.. لَا أُحِبُّهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَفَارِقَهَا.. وَلَمْ يَقُلِ الصَّحَابِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي أَبْغَضُهَا، وَلَكِنْ فَقَطْ لَا أُحِبُّهَا.

فَيَقُولُ: وَيَحَكَ! أَوَكُلُّ الْبُيُوتِ تُبْنَى عَلَى الْحُبِّ؟! فَأَيْنَ الرَّعَايَةُ وَأَيْنَ التَّذَمُّمُ؟!!

وَانْظُرْ هَاهُنَا إِلَى هَذَا التَّوَازُنِ بَيْنَ هَذِهِ الْقِيَمِ السَّامِيَةِ؛ رِعَايَةٍ وَتَذَمُّمٍ، وَإِنَّمَا أَخَذَتْهَا بِذِمَّةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَرَعَاهَا، وَإِنَّمَا أَخَذَتْهَا بِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَحُوطُهَا، وَإِنَّمَا أَخَذَتْهَا بِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ، فَلَهَا حَقُّهَا. وَلَكِنْ لَا أَحِبُّهَا! وَهَذَا قَلْبٌ يَتَمَرَّدُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ يُرِيدُ مَحَبَّةً وَيُرِيدُ شَوْقًا!! وَهَذَا قَلْبٌ يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِيهِ مِنْ هَذَا الضَّعْفِ الْبَشَرِيِّ؛ وَلَكِنْ زِمَامُهُ مُعَلَّقٌ بِيَدِ الشَّرْعِ.

وَيَحَكَ! أَوَكُلُّ الْبُيُوتِ تُبْنَى عَلَى الْحُبِّ؟!!! فَأَيْنَ الرَّعَايَةُ وَأَيْنَ التَّذَمُّمُ؟!! وَأَيْضًا فِي مَوْقِفٍ هُوَ أَعْلَى وَأَجَلُّ، يَأْخُذُهُ مِمَّا أَخَذَ مِنْ مِشْكَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، يَأْتِيهِ قَاتِلُ أَخِيهِ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ قَضَى شَهِيدًا، يَقُولُ: أَنْتَ قَاتِلُ زَيْدٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَحِبُّكَ.

أَسْلَمَ!! وَاللَّهِ لَا أَحِبُّكَ حَتَّى تُحِبَّ الْأَرْضُ الدَّمَ. فَقَالَ: أَوَذَلِكَ يَمْنَعُنِي حَقًّا هُوَ لِي، أَوْ يَطُولُنِي بِشَرٍّ لَا أَسْتَحِقُّهُ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: إِذَنْ؟ لَا أَبَالِي، إِنَّمَا يَبْكِي عَلَى الْحُبِّ النَّسَاءُ.

يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أُحِبُّكَ.. لَا أُحِبُّكَ حَتَّى تُحِبَّ الْأَرْضُ الدَّمَ.. مَعَ أَنَّهُ أَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ!! «وَاللَّهِ لَا أُحِبُّكَ»؛ مَعَ أَنَّهُ كَانَ سَبِيًّا لِدُخُولِ أَخِيهِ الْجَنَّةَ شَهِيدًا فِي مَقَامِ الشُّهَدَاءِ، وَاللَّهِ لَا أُحِبُّكَ!! نَزَعَةُ الْبَشَرِ فِي الْبَشَرِ، أَنْتَ قَاتِلُ أَخِي؟! وَاللَّهِ لَا أُحِبُّكَ حَتَّى تُحِبَّ الْأَرْضُ الدَّمَ، وَلَكِنَّ الْقِيَمَ هِيَ الْقِيَمُ..

يَقُولُ: هَذَا الَّذِي تَذْكُرُ مِنْ عَدَمِ مَحَبَّتِكَ إِيَّايَ يَمْنَعُنِي حَقًّا هُوَ لِي، أَوْ يَطُولُنِي بَشَرٌ لَا أَسْتَحِقُّهُ؟

يَقُولُ: لَا.. الْأَمْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعَدْلِ؛ وَإِنْ كُنْتُ لَا أُحِبُّكَ؛ بَلْ لَوْ كُنْتُ أَبْغُضُكَ.

يَقُولُ: إِذَنْ لَا أَبَالِي، إِنَّمَا يَبْكِي عَلَى الْحُبِّ النِّسَاءُ!!

وَهُوَ خَطَأٌ لَا شَكَّ فِيهِ؛ لِأَنَّ مَحَبَّةَ عُمَرَ لَا شَكَّ نَافِعَتُهُ، لَا شَكَّ أَنَّ مَحَبَّةَ عُمَرَ مِمَّا يَحْرِصُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ؛ وَلَكِنْ مَا حِيلَتْهُ وَهُوَ قَاتِلُ أَخِيهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)؟! وَلَكِنْ يَتَأَتَى هَذَا الْوَسْطُ -الْوَسْطُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الدِّينُ-؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَ الْمَشَاعِرِ الْمُتَاجِجَةِ فِي الْأَعْمَاقِ عَلَى حَسَبِ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي تَدْنِيهَا وَتَخَلُّفِهَا، وَلَكِنْ الْعَدْلُ هُوَ الْعَدْلُ، وَالْإِنْصَافُ هُوَ الْإِنْصَافُ، وَالْقِيَمُ هِيَ الْقِيَمُ.

وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّكَ لَوْ كُنْتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ تَكُنْ أَبَا جَهْلٍ؟! إِذْ تَقُولُ إِنِّي لَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَكُنْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ!!

وَيَحَكَ! وَمَا يُدْرِيكَ؟!!

لَقَدْ كَانُوا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَعْمَلُ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ عَمَلَهَا، يَقُولُ: «أَلَا هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَكُونُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ؟ يَكُونُ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟»
وَأَيْنَ نَبِيِّكُمْ فِي الْجَنَّةِ ﷺ؟!

فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنْهَا؛ وَلَكِنَّ الْخَوْفَ يَحْجُبُ الْقَلْبَ عَنِ الْإِبْصَارِ
أَحْيَانًا، وَلَكِنَّ الْقَرَّ يُقْعِدُ الْمَرْءَ إِلَى الْأَرْضِ لَاطِيًا بِهَا أَحْيَانًا، وَلَكِنَّ الطَّبِيعَةَ
الْبَشَرِيَّةَ تَضْرِبُ قَيْدًا وَسَيَاجًا حَوْلَ الْقَلْبِ وَالْجَسَدِ مَعًا، فَلَا يَقُومُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
أَحَدٌ حَتَّى يُعَيِّنَ بِنَفْسِهِ، وَيَقُولُ مَعَ التَّعْيِينِ: «فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ».

فَقَامَ طَاعَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَطَاعَةً لِرَسُولِهِ ﷺ؛ وَحِينَئِذٍ عِنْدَمَا يَأْتِي أَمْرُ
الْقِيَمِ يَصِيرُ أَمْرُ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ بِعُجْرِهَا وَبُجْرِهَا، بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ ضَعْفِهَا
وَعَجْزِهَا، يَصِيرُ أَمْرُ الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ تَحْتَ الْأَقْدَامِ بِمَوَاطِئِهَا، ثُمَّ فَلْتَنْطَلِقِ الْقِيَمُ
إِلَى أَمَامَ أَمَامٍ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْظُرَ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً، مُيَمَّمَةً وَجْهَهَا صَوْبَ الْحَقِّ،
وَصَوْبَ الْحَقِّ وَحْدَهُ.

فَهَذَا هُوَ الدَّرْسُ -عِبَادَ اللَّهِ- الَّذِي عَلَّمَنَاهُ حُذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ مَعَ
النَّبِيِّ ﷺ، نَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَنَا وَإِيَّاهُمْ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ، إِنَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «جَانِبٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٢٥ هـ |



لَقَدْ أَحَبَّ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ حُبًّا عَظِيمًا؛ فَهَذَا عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي السَّادِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، وَالنَّاسُ يُعَرِّضُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُجِيزَ الْمُطِيقَ لِلْقِتَالِ لِيَتَقَدَّمَ، وَيُرَدَّ الصَّغَارَ وَالضَّعْفَةَ.

فَأَمَّا عُمَيْرٌ فَيَقُولُ عَنْهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ -أَخُوهُ-: «رَأَيْتُ عُمَيْرًا أَخِي يَوْمَ بَدْرٍ يَتَوَارَى، فَقُلْتُ: مَا لَكَ؟!».

فَقَالَ: «إِنَّ النَّاسَ سَيُعَرِّضُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخْشَى أَنْ يُرَدَّنِي فَلَا أَشْهَدُ الْيَوْمَ قِتَالًا، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأُحِبُّ أَنْ أَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ وَأَذْهَبَ شَهِيدًا، فَالْقَى اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَى ذَلِكَ».

وَعُرِضَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَصْغَرَهُ وَرَدَّهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يُلْقِي بِأَصْحَابِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، هُوَ أَحَنُّ عَلَيْهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، بَلْ أَحَنَى وَأَحَنُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ الَّتِي بَيْنَ جُنُوبِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَلَكِنَّمَا الصَّحَابَةُ يُرِيدُونَ الشَّهَادَةَ، يَتَدَفَّعُونَ مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا.

رَدَّهُ فَبَكَى؛ فَرَحِمَ شَوْقَهُ، وَحَنَى عَلَى لَهْفَتِهِ، وَأَجَازَ شَهَادَتَهُ فَقَدَّمَهُ، يَقُولُ سَعْدٌ: «وَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَشُدُّ عَلَيْهِ حِمَائِلَ سَيْفِهِ لِصِغَرِهِ، حَتَّى دَخَلَ الْمَعْرَكَةَ فَاسْتَشْهَدَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (١).

بَلْ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَأَقْلَ سِنًا لَا مَقَامًا؛ فَأَمَّا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ فَيَأْتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ أَبُوهُ؛ فَأَمَّا أَبُوهُ فَمُطِيقٌ لِلْقِتَالِ، وَأَمَّا أَبُو سَعِيدٍ فَهُوَ فِي التَّاسِعَةِ مِنْ عُمُرِهِ، وَمَا يَبْلُغُ ابْنُ التَّاسِعَةِ أَنْ يَكُونَ؟!!!

وَكَيْفَ يَلْقَى ابْنُ التَّاسِعَةِ أَبَا جَهْلٍ وَأَبَا سُفْيَانَ - وَلَمْ يَكُنْ حَاضِرًا فِي بَدْرٍ -؟! كَيْفَ يَلْقَى أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الصَّنَادِيدِ فِي مَعَارِكٍ يَشِيبُ مِنْ هَوْلِهَا الْوِلْدَانُ؟!!!

إِلَّا أَنَّهُ الشَّوْقُ الدَّفِينُ يَتَبَدَّى عِنْدَمَا تَسْنَحُ الْفُرْصَةُ، وَعِنْدَمَا يُضِيءُ الْأَفَقُ بِنُورِ الشَّهَادَةِ الْأَحْمَرِ؛ لِأَنَّ لِلشَّهَادَةِ نُورًا أَحْمَرَ، كَمَا أَنَّ لِلْحُرِّيَّةِ بَابًا بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدْقُ؛ فَكَذَلِكَ لِلشَّهَادَةِ نُورٌ سَاطِعٌ، غَيْرَ أَنَّهُ نُورٌ عَجِيبٌ أَحْمَرٌ!! فَإِذَا مَا بَدَأَ، هَفَّتْ إِلَيْهِ الْأَنْفُسُ كَمَا تَهْفُو الْفَرَاشَاتُ إِلَى النُّورِ!!

فَيَأْتِي أَبُو سَعِيدٍ - وَلَهُ تِسْعٌ مِنَ السَّنَوَاتِ - لِيُجِيزَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَا يَبْلُغُ ابْنُ التَّاسِعَةِ أَنْ يَكُونَ فِي الْقِتَالِ، وَهُوَ يَشِبُّ عَلَى أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ؛ لِيُبْدِيَ لِلنَّبِيِّ أَنَّهُ صَارَ رَجُلًا مُطِيقًا!!

(١) أخرجه الواقدي في «المغازي»: (١/ ٢١)، ومن طريقه: ابن سعد في «الطبقات»: (٣/ ١٤٩-١٥٠)، وأخرجه أيضًا: البزار في «المسند»: (٣/ ٣١٣)، رقم (١١٠٦)، والمروزي في «السنة»: (ص ٤٦-٤٧، رقم ١٤٦)، والحاكم: (٣/ ١٨٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة»: (٤/ ٢٠٨٤)، ترجمة (٢١٧٧)، بإسناد صحيح.

وَأَبُوهُ.. وَهُوَ أَبٌ عَجِيبٌ جِدًّا، قَدْ لَا تَجِدُ لَهُ مِثَالًا الْيَوْمَ، بَلْ لَا تَجِدُ، لَا أَقُولُ عَلَى الشَّكِّ قَدْ لَا تَجِدُ أَوْ التَّرَدُّدِ أَوْ التَّقْلِيلِ، وَإِنَّمَا أَقُولُهَا عَلَى الْجَزْمِ وَالْقَطْعِ: لَا تَجِدُ مِثْلَ هَذَا الْأَبِ الْيَوْمَ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

أَبُوهُ بِجَانِبِهِ، وَابْنُهُ فِي التَّاسِعَةِ يُعْرَضُ عَلَى الرَّسُولِ لِيُجِيزَهُ فِي الْقِتَالِ، فَيَشُبُّ عَلَى أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ؛ لِيُرِيَ النَّبِيَّ أَنَّهُ قَدْ صَارَ رَجُلًا، وَأَبُوهُ يَزْكِيهِ، يَقُولُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَجِزْهُ وَأَدْخِلْهُ الْمَعْرَكَةَ؛ لِيَحْطِيَ بِالشَّهَادَةِ؛ فَوَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ عَبْلُ الْعِظَامِ - يَعْنِي هُوَ وَلَدٌ مَتِينٌ مُكْتَمِلٌ -، فَأَجِزْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ!!»^(١).

أَيُّ أَبٍ هَذَا - بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ - !!؟

لَا تَجِدُ مِثْلَهُ الْيَوْمَ وَأَقْطَعُ بِذَلِكَ، يُقَدِّمُ وَلَدَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَظْفَرَ بِالشَّهَادَةِ وَهِيَ إِلَى النَّفْسِ حَبِيبَةٌ، بَلْ كَانُوا يَتَدَاغَعُونَهَا، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ؛ عَلَى قَدْرِ مَا تَعْمَلُ هَاهُنَا تَجِدُهُ هُنَاكَ، وَهُنَاكَ هَذِهِ تَبْدَأُ مِنْ عِنْدِ الْمَوْتِ؛ فَأَمَّا الثَّبَاتُ عِنْدَ الْمَمَاتِ فَأَمْرٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ الْإِنْسَانُ كَيْفَ كَانَ عَلَيْهِ السَّالِفُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) أخرجه الواقدي كما في «تاريخ الإسلام»: (٢/ ٨٩٥، ترجمة ١٣٣)، ومن طريقه: ابن

عساكر في «تاريخ دمشق»: (٢٠/ ٣٨٦، ترجمة ٢٤٧٢)، وأخرجه أيضًا: الحاكم:

(٣/ ٥٦٣)، بإسناد لا بأس به، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ:

عُرِضْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةَ، فَجَعَلَ أَبِي يَأْخُذُ بِيَدِي فَيَقُولُ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ عَبْلُ الْعِظَامِ [أي: ضخم العظام]، وَإِنْ كَانَ مُودِنًا [أي: قصيرًا]».

قَالَ: وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَعِّدُ فِي الْبَصَرِ وَيُصَوِّبُهُ، ثُمَّ قَالَ: «رُدَّهُ»، فَرَدَّنِي.

عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ لَمَّا أَنْ جَاءَهُ جَبَّارُ بْنُ سُلَيْمَى الْكَلْبِيُّ، فَطَعَنَهُ فِي ظَهْرِهِ فَأَنْفَذَهُ - يَعْنِي ضَرَبَهُ بِالرُّمَحِ فِي ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَخَرَجَ الرُّمَحُ مِنْ صَدْرِهِ، مِنْ حَبَّةِ قَلْبِهِ وَمِنْ سُودَاءِ فُؤَادِهِ -، وَالْدَّمُ يَنْبَجِسُ مُنْفَجِرًا كَأَنَّمَا يَتَصَاعَدُ إِلَى السَّمَاءِ مَوَّارًا فَوَّارًا بِالطَّهْرِ وَالسُّمُو كُلِّهِ، وَأَمَّا عَامِرٌ فَيَتَلَقَّى الدَّمَ بِيَدِهِ وَيَقْدِفُ بِهِ جِهَةَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ: «فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ!! فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ!!».

أَيُّ أَنَاسٍ هَؤُلَاءِ؟!!

كَيْفَ يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقَعَ بِهِ مِثْلُ هَذَا الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ مِنْ أَلَمٍ يَحِطُّ عَلَى الْبَدَنِ؛ مِنْ انْتِظَامٍ لِرُمَحٍ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ كَمَا يَدْخُلُ سِلْكُ السُّبْحَةِ فِيهَا فَيَخْرُجُ مِنَ الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنْ حَبَّاتِهَا، وَهُوَ يَتَوَجَّهُ إِلَى السَّمَاءِ، يَقُولُ - وَقَدْ أَخَذَ الدَّمَ الْمُنْبَجِسَ مِنْ قَلْبِهِ الطَّاهِرِ بِيَدَيْهِ، يُلْقِي بِهِ جِهَةَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ -: «فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ!! فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ!!».

وَأَمَّا الْمَوْقِفُ الصَّعْبُ الشَّدِيدُ الَّذِي وَقَفَهُ هَذَا الرَّجُلُ، فَتَسَامَى فَوْقَهُ، وَتَصَاعَدَ فَوْقَهُ سُمُومًا صَاعِدًا إِلَى عُلْيَا السَّمَاوَاتِ؛ فَيُؤَثِّرُ فِي قَلْبِ مَنْ ضَرَبَهُ.. فِي قَلْبِ الْكَافِرِ الَّذِي كَانَ.. الَّذِي انْتَضَمَ حَبَّةَ قَلْبِهِ بِرُمَحِهِ فَأَنْفَذَهَا، ثُمَّ أَمَاتَهُ شَهِيدًا، مُقَرَّبًا إِيَّاهُ قُرْبَانًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا يَفْعَلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بَعْدَ حِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَأَمَّا جَبَّارُ بْنُ سُلَيْمَى الْكَلْبِيُّ لَمَّا وَجَدَ الْأَمْرَ قَالَ: وَمَا فُزْتُ هَذِهِ الَّتِي يَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ؟!!

يَقُولُ: فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ!! بِأَيِّ شَيْءٍ فَازَ؟!!

قَالُوا: إِنَّمَا فَازَ بِالْجَنَّةِ.

فَلَمَّا أَنْ رَأَى ذَلِكَ قَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»^(١).

أَيُّ مَحَبَّةٍ هَذِهِ طَغَتْ فَعَمَّتْ وَطَمَّتْ عَلَى أَرْجَاءِ الدُّنْيَا، فَأَحَالَتْ الْحَيَاةَ لَا شَيْءَ.. هَبَاءً مَثُورًا، كَالْهَبَاءَةِ عِنْدَمَا تَنْظُرُ إِلَيْهَا فِي بَصِيصٍ مِنْ شُعَاعٍ يَتَسَلَّلُ فِي يَوْمٍ شَاتٍ عَقِيمٍ، تَتَسَلَّلُ بِهِ الشَّمْسُ مِنْ بَيْنِ الْغَمَامِ، فَتُرْسِلُ ضَوْءًا وَاحِدًا فَيَتَسَلَّلُ مِنْ خِصَاصِ بَابٍ أَوْ نَافِذَةٍ، فَتَنْظُرُ الْهَبَاءَةُ فِي ذَلِكَ الْهَبَاءِ، تَصِيرُ الْحَيَاةُ كَذَلِكَ أَرْضًا وَسَمَاءً، وَأَمَّا الْبَاقِيَةُ فَلَيْسَتْ كَذَلِكَ؛ ﴿وَلَيْتَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الصَّحَابَةَ أَحَبُّوا الرَّسُولَ ﷺ حُبًّا مَلَكَ عَلَيْهِمْ قُلُوبُهُمْ؛ إِذْ مَحَبَّتُهُ دِينٌ وَإِيمَانٌ، بَلْ مَحَبَّتُهُ صَرِيحُ الدِّينِ وَخَالِصُ الْإِيمَانِ.

وَلَا يَكُونُ الْإِيمَانُ إِيْمَانًا حَتَّى تَكُونَ مَحَبَّتُهُ ﷺ مُقَدَّمَةً عَلَى مَحَبَّةِ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَالنَّفْسِ الَّتِي بَيْنَ الْجَنَيْنِ، وَحَتَّى يَكُونَ أَمْرُهُ مُطَاعًا مُقَدَّمًا، وَحَتَّى يَكُونَ مُعَزَّرًا وَمُعَظَّمًا وَمَوْقَرًا ﷺ.

(١) أخرجه الواقدي في «المغازي»: (٣٤٩/١)، ومن طريقه: ابن سعد في «الطبقات»: (٥٢/٢) و(٢٣١/٣)، وأبو نعيم في «الدلائل»: (ص ٥١٣-٥١٤، رقم ٤٤١)، والبيهقي في «الدلائل»: (٣٥٣/٣)، وابن عساكر في «تاريخه»: (٣٤٣-٣٤٤/٤)، وأخرجه أيضًا: الطبري في «تاريخ الرسل»: (٥٤٨/٢)، من طريق آخر، بنحوه. والحديث بمجموع الطريقتين لا بأس به، وأصله في «الصحيحين» من رواية أنسٍ رضي الله عنه، في قصة مقتل خاله حرام بن ملحان رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الثَّبَاتُ حَتَّى الْمَمَاتِ».

إِنَّ اللَّهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- قَدْ فَرَضَ عَلَيْنَا أَنْ نُحِبَّ النَّبِيَّ ﷺ حُبًّا عَلَى نَحْوِ مَخْصُوصٍ، وَهُوَ ﷺ جَدِيرٌ بِأَنْ يُحَبَّ.

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ لَكَانَ مَظْهَرُهُ يُنْبِئُكَ بِالْخَبَرِ (١)

كَمَا كَانَ الرَّجُلُ يَسْمَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي دِيَارِ قَوْمِهِ عَلَى بُعْدِ الدَّارِ وَتَنَائِي الدِّيَارِ، وَيُوصَفُ لَدَيْهِ بِأَنَّهُ كَذَّابٌ، وَيُحَذَّرُ مِنْ لُقْيَاهُ إِذَا مَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ مُتَاجِرًا!!

فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي فَيَسْأَلُ عَنْ غُلَامِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -يَسْأَلُ عَنِ النَّبِيِّ الْمُهَاجِرِ ﷺ-؛ فَإِذَا نَظَرَ فِي وَجْهِهِ قَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ وَجْهَهُ هَذَا لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ﷺ» (٢).

(١) البيت من البسيط لشاعر النبي ﷺ الأمير: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزَرَجِيِّ الْبَدْرِيِّ (المتوفي بمؤتة سنة ٨هـ)، كما في «عيون الأخبار»: (١/٣٢٦)، و«الشفاء»: (ص ٣٠٩)، و«الإصابة»: (٤/٧٥)، وهو في ديوانه: (ص ١٦٠)، القصيدة (٣١)، بلفظ: «كَانَتْ بَدِيعَتُهُ تُنْبِئُكَ»، وفي رواية: «كَانَتْ بَدَاهَتُهُ»، وفي أخرى: «لَكَانَ مَنَظَرُهُ يُنْبِئُكَ»، والله أعلم.

(٢) أخرج الترمذي: (٤/٦٥٢، رقم ٢٤٨٥)، وابن ماجه: (١/٤٢٣، رقم ١٣٣٤) و(٢/١٠٨٣، رقم ٣٢٥١)، من حديث: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَنْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ... الحديث.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «الصحيحة»: (١١٣/٢)، رقم ٥٦٩.

وَقَبْلَ أَنْ يُرْسِلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالرَّسَالَةِ، وَقَبْلَ أَنْ يُكْرِمَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
بِالنُّبُوَّةِ؛ وَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ الْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ.

لَمَّا جَاءَتِ الرِّسَالَةُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحَبَّ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ أَنْفُسِهِمُ الَّتِي بَيْنَ
جُنُوبِهِمْ.

وَتَبَدَّى هَذَا فِي مَوَاطِنَ لَا يُحْصِيهَا الْعَادُّ عَدًّا، وَإِنَّمَا هِيَ مُتَنَاطِرَةٌ فِي ظُلُمَاتِ
الصُّحْبَةِ الْبَشَرِيَّةِ؛ مُتَنَاطِرَةٌ فِيهَا كَالْكَوَاكِبِ تَتَلَاؤُا بِلَيْلٍ فَيَغْدُو اللَّيْلُ بِهَا نَهَارًا،
وَيَسْتَحِيلُ الْإِظْلَامُ بِهَا ضِيَاءً.

فَهَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ يَقُومُ الصَّدِيقُ ﷺ بِمَكَّةَ مُدَافِعًا عَنْهُ يَقُولُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا
أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ!!؟^(١)

مَا سَأَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ!!

وَمَا آدَكُم عَلَيْهِ وَلَا حَمَلَكُم عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ!! وَإِنَّمَا يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ،
وَمَا أَمْرَكُمْ أَنْ تَطْرُوهُ كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَقُولُ
لَهُمْ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» ﷺ^(٢).

(١) أخرجه البخاري: (٨/ ٥٥٣-٥٥٤، رقم ٤٨١٥)، من طريق: عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قُلْتُ
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ:
«بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوَّى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ
بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «أَنْتَقُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ» [غافر: ٢٨].

(٢) أخرجه البخاري: (٦/ ٤٧٨، رقم ٣٤٤٥) و (١٢/ ١٤٤، رقم ٦٨٣٠)، من حديث:
ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ:

وَيَدْعُوكُمْ لِتَخْلَعُوا أَثْقَالَ الْأَوْهَامِ بِقُيُودِهَا حَتَّى تَجْعَلُوهَا فِي زِبَالَاتِ
التَّارِيخِ، ثُمَّ لِنَتَنَعِّتُوا مِنْ تِلْكَ الْأَوْهَامِ، وَتَتَحَرَّرُوا مِنْ قُيُودِهَا بِجَلَالِ التَّوْحِيدِ
وَنَظَافَةِ الْعَقِيدَةِ وَصَفَائِهَا: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.. تَفْلِحُوا» (١).

قَامَ أَبُو بَكْرٍ يَدْفَعُ عَنْهُ، يَقُولُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ!!! (*)

لَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْهَجْرَةِ يَتَحَرَّكُ أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الطَّرِيقِ وَمِنْ
خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، يَقُولُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْكَرُ الرَّصَدَ فَأَكُونُ أَمَامَكَ،
وَأَخَافُ الطَّلَبَ فَأَكُونُ خَلْفَكَ، وَأَذْكَرُ مُفَاجَأَتِ الطَّرِيقِ فَأَكُونُ عَنْ يَمِينِكَ
وَشِمَالِكَ».

=

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ،
فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

(١) أخرجه أحمد: (٤ / ٦٣ و ٣٤١)، بإسناد صحيح، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَادٍ الدَّيْلِيِّ - وَكَانَ
جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ -، قَالَ:

سَمِعْتُ رَجُلًا فِي سُوقٍ عُكَازٍ [وَفِي رِوَايَةٍ: فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ] يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ،
قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.. تَفْلِحُوا»، وَرَجُلٌ يَتَّبِعُهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يُصَدِّكُم عَنْ آلِهَتِكُمْ!
فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو جَهْلٍ [وَفِي رِوَايَةٍ: وَأَبُو لَهَبٍ].

والحديث جَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي هَامِشٍ «صحيح السنة النبوية»: (ص ١٤٢ - ١٤٣)،
وله شاهد من رواية طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «مَحَبَّةُ الْأَصْحَابِ لِلنَّبِيِّ الْمُهَابِ» - الْجُمُعَةُ ١٨
مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٢٧ هـ | ١٧ - ٢ - ٢٠٠٦ م.

يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ إِنْ هَلَكَتَ فَهَلْكَ أُمَّةٌ، وَأَمَّا أَنَا إِنْ هَلَكَتُ فَهَلْكَ وَاحِدٌ لَا أَزِيدُ، أَمَّا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَئِنْ أَصَابَتْكَ شَوْكَةٌ فَهُوَ لَخَطْبٌ جَلِيلٌ تَتَحَرَّكُ مِنْهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَّاتُ، وَأَمَّا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَرُوحِي لَكَ الْفِدَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (١). (*)



(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة»: (٩ / رقم ١٣٣ و ٢٥٣)، والحاكم: (٦ / ٣)، رقم (٤٢٦٨)، ومن طريقه: البيهقي في «الدلائل»: (٢ / ٤٧٦)، بإسناد صحيح، عن مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، مرسلاً، قَالَ: قَالَ عُمَرُ ﷺ:

وَاللَّهُ لِلَّيْلَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ عُمَرَ؛ لَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَنْطَلِقَ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَاعَةً خَلْفَهُ حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا لَكَ تَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيَّ وَسَاعَةً خَلْفِي؟»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْكُرُ الطَّلَبَ فَأَمْشِي خَلْفَكَ، ثُمَّ أَذْكُرُ الرِّصْدَ فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟»، قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا كَانَتْ لِيَتَكُونَ مِنْ مُلِمَةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِي دُونَكَ، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَسْتَبْرِئَ لَكَ الْغَارَ»، فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرِئِ الْحُجْرَةَ، فَقَالَ: «مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَسْتَبْرِئَ الْحُجْرَةَ»، فَدَخَلَ وَاسْتَبْرَأَ، ثُمَّ قَالَ: «انْزِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، فَزَلَّ.

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ لَوْلَا إِرْسَالُ فِيهِ»، وروي -أيضاً- عَنْ ضَبَّةَ بِنِ مِحْصَنِ الْعَنْزِيِّ عَنْ عُمَرَ ﷺ، وَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ مرسلاً، بنحوه. (*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِنْ أَحْدَاثِ الْهَجْرَةِ».

صُورٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ جِهَادِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الدَّعْوَةِ

لَقَدْ حَفَلَتْ حَيَاةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالْعِيدِ مِنَ الصُّورِ الْمُشْرِقَةِ خَاصَّةً فِي الدَّعْوَةِ
لِنَشْرِ دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فِهَذَا مُصْعَبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلُ سَفِيرٍ فِي الْإِسْلَامِ (١)، وَهُوَ
الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ كُلَّ حَسَنَاتٍ أَتَى بِهَا مَنْ اهْتَزَّ
عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ دَاعِيَةَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢)،
وَهُوَ كَانَ دَاعِيَةَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ الَّذِي تَنَزَّلَتْ الْمَلَائِكَةُ لِتِلَاوَتِهِ
لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ (٣).

(١) لما أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٩٢٤، و٣٩٢٥، و٤٩٤١)، من حديث:
الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ
بْنُ عُمَيْرٍ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا بَعْدَهُ عُمَرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرَأُنَا الْقُرْآنَ...» الحديث.
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٨٠٣)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٤٦٦)،
من حديث: جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَجَنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ».

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٥٠١٨)، ومسلم (رقم ٧٩٦)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ
جَالَتْ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتْ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ
فَجَالَتْ الْفَرَسُ، فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى،

وَهَذَا الصَّحَابِيُّ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ مَدِينَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْآنِ الشَّرِيفِ وَحْدَهُ، وَكَانَ يُسَمَّى الْمُقَرَّرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)، أَوْفَدَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَمَا زَالَ شَابًّا بَعْدُ؛ لِكَيْ يَكُونَ سَفِيرَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَايَعُوا بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْشُرَ الْإِسْلَامَ فِي يَثْرَبَ حَتَّى سُمِّيَتْ مَدِينَةُ الرَّسُولِ ﷺ (٢).

=

فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ الشُّرُجِ، عَرَجْتُ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ»، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِمُصَوْنِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحْتَ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ»، وَفِي رَوَايَةٍ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْمَعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحْتَ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَرُ مِنْهُمْ».

(١) أخرج ابن هشام في «السيرة» (١ / ٤٣٤)، والطبري في «تاريخه» (٢ / ٣٥٧)، وأبو نعيم في «الدلائل» (رقم ٢٢٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢ / ٤٣٧ - ٤٣٨)، من طريق: ابن إسحاق، بإسناده، قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ وَفْدِ الْعَقَبَةِ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ يُسَمَّى بِالْمَدِينَةِ الْمُقَرَّرِيِّ، وَكَانَ مَزَلُّهُ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ... الحديث.

(٢) أخرج ابن هشام في «السيرة» (١ / ٤٣٦)، والطبري في «تاريخه» (٢ / ٣٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٢ / ٤٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩ / ٨٢، ترجمة ٧٦٧)، من طريق: ابن إسحاق، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنُ مُعَيْقِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا لَكَ، انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيْنَا دَارِنَا لِنُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا... الحديث في قصة إسلام سعد بن معاذ وأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ.

مُضْعَبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَاعَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، نَعَمْ؛ لِأَنَّهُ صَاحِبُ رِسَالَةٍ عَلَى
الْوَجْهِ الْأَثَمِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْفَانِي السَّاقِطِ الَّذِي لَا قِيمَةَ لَهُ، وَإِنَّمَا يُعَوِّلُ عَلَى
طَرِيقِهِ لَا يَلْتَفِتُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً.

هَذَا هُوَ الْجِيلُ الْأَوَّلُ الَّذِي يَحْمِلُ الرِّسَالَةَ عَالِيَةً شَامِخَةً فِي أَجَوَازِ الْفَضَاءِ،
وَهَذَا هُوَ الْجِيلُ الَّذِي فَاحَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مَنْ جَاءَ بَعْدَ مَنْ يَتِمِّي إِلَى هَذَا
الْجِيلِ الْمُبَارَكِ الشَّرِيفِ.

هَذَا الْجِيلُ هُوَ الْجِيلُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
قَائِمًا بِحَقٍّ، وَهَذَا مُضْعَبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَعْطَرَ فَتًى فِي قُرَيْشٍ، وَكَانَ أَنَهَدَ فَتًى فِي
قُرَيْشٍ، وَكَانَ أَجْمَلَ فَتًى فِي قُرَيْشٍ، وَكَانَ عِطْرُهُ يُؤْتَى بِهِ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا^(١).

(١) أخرج ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١١٦)، دار صادر، والبلاذري في «أنساب
الأشراف» (٩/ ٤٠٥)، والحاكم في «المستدرک» (٣/ ٢٠٠، رقم ٤٩٠٤)، من طريق:
مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَبْدَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كَانَ مُضْعَبُ بْنُ
عُمَيْرٍ فَتًى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا، وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ كَثِيرَةَ الْمَالِ، تَكْسُوهُ أَحْسَنَ
مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ وَأَرْقَهُ، وَكَانَ أَعْطَرَ أَهْلِ مَكَّةَ، يَلْبَسُ الْحَضْرَمِيِّ مِنَ النَّعَالِ، فَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُهُ، وَيَقُولُ: «مَا رَأَيْتُ بِمَكَّةَ أَحَدًا أَحْسَنَ لِمَةً، وَلَا أَرْقَ حُلَةً، وَلَا
أَنْعَمَ نِعْمَةً، مِنْ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ»، فَبَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فِي دَارِ
أَرْقَمَ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِهِ، وَخَرَجَ فَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أُمِّهِ
وَقَوْمِهِ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرًّا، فَبَصُرَ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ يُصَلِّي، فَأَخْبَرَ
أُمُّهُ وَقَوْمُهُ فَأَخَذُوهُ فَحَبَسُوهُ، فَلَمْ يَزَلْ مَحْبُوسًا حَتَّى خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ
الْأُولَى، ثُمَّ رَجَعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ رَجَعُوا، فَرَجَعَ مُتَغَيِّرَ الْحَالِ قَدْ حَرَجَ -يَعْنِي غُلَظَ-،

وَكَانَتْ أُمُّهُ عَظِيمَةَ الْيَسَارِ، كَثِيرَةَ الْمَالِ، وَكَانَتْ لَا تَبْخُلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا أَسْلَمَ لِلَّهِ وَجْهُهُ وَقَلْبُهُ وَقَالَبُهُ، وَأَلْقَى الْمَقَادَةَ بَيْنَ يَدَيْ نَبِيِّهِ ﷺ، أَتَى بِأَطْمَارٍ بِالِيَاتٍ لَمْ يُحْصَلْ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّةً وَمَرَّةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى جَوَارِ النَّبِيِّ ﷺ، وَحَرَّمَ مِنْ مُدُودِ الْيَسَارِ وَوَارِفِ الثَّرْوَةِ.

حَرَمَهُ أَبَوَاهُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُ صَبَأَ بِزَعْمِهِمَا، وَتَبَعَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ وَمَا زَالَ شَابًّا بَعْدَ قَدْ بَاعَ وَانْتَهَى الْأَمْرُ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ اشْتَرَى وَوَقَعَ الْبَيْعُ رَابِعًا.

وَإِذْنٌ؛ فَلَا يَلْتَفِتُ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُ نَبِيَّهُ ﷺ، عَقْلٌ رَاجِحٌ بِحَقٍّ، وَعَلَى أَمْثَالٍ هَؤُلَاءِ تَقُومُ الْأُمَمُ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْأُسُسُ الْمَكِينَةُ الرَّكِينَةُ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا الصُّرُوحُ وَعَلَى مِثْلِهَا تُؤَسَّسُ، عَلَى مِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ وَمَا زَالَ شَابًّا بَعْدُ!!

وَتَتَأَمَّلُ فِي حِكْمَتِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِذْ أَلْقَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْأَمَانَةَ عَلَى عَاتِقِيهِ، وَأَوْفَدَهُ الرَّسُولُ ﷺ مُقَرَّرًا هَؤُلَاءِ كِتَابَ اللَّهِ فِي يَثْرَبَ -كَانَتْ كَذَلِكَ تُسَمَّى إِلَى ذَلِكَ الْحِينِ حَتَّى هِجْرَةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ-، وَهُوَ يَأْخُذُ بِزِمَامِ أَسِيدِ بْنِ الْحَضِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا جَلَسْتُ حَتَّى تَسْمَعَ، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَانَ مَبْغُوضًا لَدَيْكَ مَكْرُوهًا عِنْدَكَ؛ كَفَفْنَا عَنْكَ مَا يَسُوؤُكَ».

فَكَفَّتْ أُمُّهُ عَنْهُ مِنَ الْعَدْلِ، أَي: مِنَ الْمَلَامَةِ، انظر: «الصحاح» للجوهري (١٧٦٢ / ٥)

مادة: (عدل).

وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ: إِمَامٌ فِي السِّيرِ وَالْمَغَازِي عَلَى ضَعْفِهِ، قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي آخِرِ تَرْجُمَتِهِ فِي «مِيزَانِ الْإِعْتِدَالِ» (٣/ ترجمة رقم ٧٩٩٣): «استقر الإجماع على وهن الواقدي».

فَرَكَزَ الرَّجُلُ حَرْبَتَهُ وَقَالَ: «أَنْصَفْتُ».

فَجَلَسَ فَاسْتَمَعَ دَعَايَةَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَتَلَا عَلَيْهِ مُضْعَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَوَقَعَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِهِ، فَتَفَجَّرَ النُّورُ فِي أَطْوَاءِ صَدْرِهِ وَحَنَائِهِ، ثُمَّ مَا زَالَ يُشْرِقُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى عَمَّ وَجْهَهُ وَأَرْكَانَ جَوَارِحِهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا عَادَ إِلَى الْقَوْمِ وَهُمْ عَلَى شِرْكِهِمْ، قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ، وَإِنَّمَا أَوْفَدَهُ إِلَى مُضْعَبٍ؛ لِكَيْ يَكْفَهُ عَنْ إِغْوَاءِ السُّفَهَاءِ وَالضُّعَفَاءِ وَتَبِعَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

فَلَمَّا رَأَاهُ مُقْبِلًا، قَالَ: «أَقْسِمُ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَسِيدٌ بَغِيرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ».

لَا جَرَمَ؛ إِنَّ لِلْإِيمَانِ نُورًا يَكْسُو الْوَجْهَ إِذَا كَانَ إِيمَانًا صَادِقًا وَصَحِيحًا، ثُمَّ جَاءَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَانَ مَا كَانَ مِنَ الدَّعْوَةِ بِالْحِكْمَةِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَمْ يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ شَدِيدًا عَنِيفًا، وَلَمْ يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ مُنْفَرًّا، لَمْ يَذْهَبَ إِلَيْهِمْ مُحَذِّرًا بَغِيرَ تَبَشِيرٍ، وَإِنَّمَا ذَهَبَ إِلَيْهِمْ وَالْأَمَانَةُ - وَهُوَ شَابٌّ بَعْدُ - عَلَى عَاتِقِهِ فَحَمَلَهَا وَكَانَ كُفُوًا لَهَا ﷺ.

ثُمَّ عَادَ بَعْدَ عَامٍ وَاحِدٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي مَكَّةَ، وَلَمْ يَبْقَ فِي يَثْرَبَ بَيْتٌ وَاحِدٌ إِلَّا فِيهِ ذِكْرُ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهُ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ تَبَعِ ذَلِكَ الشَّاعِرِ الَّذِي حَجَزَ قَوْمَهُ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَتَبِعَ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ﷺ إِلَى مَا بَعْدَ الْخَنْدَقِ، فَكَانَ شَوْمًا عَلَيْهِمْ؛ تَأْخِيرًا لِلْهَدَايَةِ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ بِأَسْبَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَمَّا ابْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا عَادَ مِنْ عِنْدِ مُصْعَبٍ قَالَ الْقَوْمُ: «نَشْهَدُ إِنَّهُ لَقَدْ عَادَ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ».

فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَيُّ شَيْءٍ أَنَا فِيكُمْ؟».

قَالُوا: «سَيِّدَنَا وَمُقَدِّمَنَا وَصَاحِبُ الرَّأْيِ فِينَا».

فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّ كَلَامَ نِسَائِكُمْ وَرِجَالِكُمْ وَأَطْفَالِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُسَلِّمُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسَلِّمًا».

هَذَا الرَّجُلُ الْمُتَجَرِّدُ وَمَا زَالَ شَابًّا بَعْدُ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَحْصُلْ شَيْئًا، وَعَلَى مِثْلِهَا فَقَسَّ.

إِنَّ جِيلَ تَأْسِيسِ الدَّعْوَةِ الصَّحِيحَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَيْسَتْ لَهُمْ دُنْيَا فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا هُمْ مُقْبِلُونَ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ أَمَّا وَقْصِدًا، وَكَانَتْ هَذِهِ الْحَالُ هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- (*).

وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ هِجْرَةِ الْمُخْتَارِ ﷺ، وَفِي شَهْرِ صَفَرٍ -وَأَنْتَ خَيْرٌ أَنْ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ مَوْقَعَةِ أُحُدٍ؛ إِذْ وَقَعَتْ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ- فِي

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «جِيلُ التَّأْسِيسِ».

السَّنَةِ الرَّابِعَةِ وَفِي شَهْرِ صَفَرٍ وَقَعَتْ حَادِثَتَانِ مُؤَلِمَتَانِ عَنِفَتَانِ دَمَوِيَّتَانِ أَثَرَتَا فِي قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَوْرَثَتَا الْمُسْلِمِينَ حُزْنًا مَا زَالَتْ ظِلَالُهُ تَرُوحُ وَتَجِيءُ إِلَى أَنْ اسْتَخْرَجُوا الْمِنَحَةَ مِنْ جَوْفِ الْمِحْنَةِ، وَإِلَى أَنْ اعْتَصَرُوا الْأَلَمَ فَإِذَا هُوَ شَهْدٌ صَرَّاحٌ خَالِصٌ بِنُورِ التَّوْحِيدِ الْأَعْظَمِ.

وَقَعَتْ الْحَادِثَةُ الْأُولَى كَمَا يَقُولُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ.

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَقَدْ أَثْبَتَهَا فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَأَمَّا التَّحْقِيقُ، فَإِنَّ الصَّيْرُورَةَ بِهِ إِلَى صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ.

جَاءَ قَوْمٌ رَهْطٌ مِنْ (عَصَل) وَ(الْقَارَةِ)، وَهُمَا بَطْنَانِ مِنْ بَنِي الْهُونِ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ؛ بَطْنَانِ يَتِمِّيَانِ إِلَى قَبِيلَةٍ تَجَنُّحُ فِي الْمُنْتَهَى إِلَى (هَذِيلِ).

فَجَاءَ الرَّهْطُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا، وَإِنَّا لَنَرْجُو مِنْكَ أَنْ تُرْسِلَ مَعَنَا مَنْ يُعَلِّمُنَا دِينَنَا، وَمَنْ يُقَرِّئُنَا قُرْآنَ رَبِّنَا حَتَّى نَتَفَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ ﷻ».

فَأَرْسَلَ مَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعَةً مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ^(١)، وَمَعَهُمُ -أَيْضًا- خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَبْعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) «الدَّثَنَةُ» بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وقد تسكن، وبفتح النون المخففة وقد

كُونُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَنْزِلُوا دِيَارَهُمْ؛ فَعَلَّمُوهُمْ وَأَقْرِئُوهُمْ، وَقُومُوا عَلَى شَأْنِهِمْ
بِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.

وَسَارُوا مَعًا حَتَّى نَزَلُوا عِنْدَ (الرَّجِيعِ) -عِنْدَ بئرٍ يُقَالُ لَهُ: الرَّجِيعُ، مِنْ أَرْضِ
(هُذَيْلٍ)-؛ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَمَّا نَامُوا فَقَامُوا، وَجَدُوا النَّاسَ قَدْ غَدَرُوا بِهِمْ، وَقَالُوا: «وَاللَّهِ
مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ، وَإِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ نَذْهَبَ بِكُمْ إِلَى قُرَيْشٍ عَسَى أَنْ نَتَحَصَّلَ مِنْهُمْ عَلَى
بَعْضِ النَّفَقَةِ».

فَأَمَّا عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «وَاللَّهِ! لَا أَنْزِلَ لِكَافِرٍ عَلَى عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ
أَبَدًا».

وَكَانَ قَدْ عَاهَدَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَى أَمْرٍ عَجِيبٍ؛ عَاهَدَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ
أَلَّا يَمَسَّ مُشْرِكًا أَبَدًا مَا حَيَّي حَتَّى يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، فَنَازَلَهُمْ بِسَيْفِهِ، وَمَعَهُ بَعْضُ
إِخْوَانِهِ مِمَّنْ كَانُوا مِنْ رُسُلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى (عِصْلٍ) وَ(الْقَارَةِ).

فَمَا زَالَ يُنَازِلُهُمْ حَتَّى قَضَى؛ فَمَضَى!

فَلَمَّا قُتِلَ شَهِيدًا أَقْبَلَ الْقَوْمُ فَقَالُوا: «لَنَأْخُذَنَّ رَأْسَهُ -لَنَأْخُذَنَّ رَأْسَ
عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ-؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ نَذْهَبَ بِهِ إِلَى سُلَافَةِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شَهِيدٍ
بِمَكَّةَ»، وَكَانَ قَدْ وَتَرَهَا بِأَبْنِيهَا؛ فَذَرَتْ لِلَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ نَذْرًا لئِنْ أَمَكَّنَهَا اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ فِي قِحْفٍ جُمُجْمَتِهِ!!^(١).

انظر ضبطه في «مشارك الأنوار»: (١/٢٦٦)، وشرح ابن رسلان على «السنن» لأبي

داود: (١١/٤٥٨)، و«الإصابة» لابن حجر: (٤/٩٠)، ترجمة (٢٩١٢).

(١) «القحف» بالكسر: العظم الذي يكون فوق الدماغ من الجمجمة، و«الجمجمة»: التي

فَقَالُوا: «فَلْنَذْهَبْ بِرَأْسِ عَاصِمٍ إِلَى سُلَاقَةِ؛ لِنَتَحَصَّلَ مِنْهَا عَلَى مَا هُنَالِكَ مِنْ عَطَائِهَا ثَمَنًا لِرَأْسِ الشَّهِيدِ».

وَأَمَّا رَبُّكَ فَصَاحِبُ الْقُوَى وَالْقُدَرِ؛ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، عَطَاؤُهُ كَلَامٌ، وَنَعِيمُهُ كَلَامٌ، وَعَذَابُهُ كَلَامٌ؛ يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ، وَأَمْرُهُ بَعْدَ الْكَافِ وَالنُّونِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَأَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جُنْدًا مِنْ جُنْدِهِ -وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ-، أَرْسَلَ الدَّبْرَ -أَرْسَلَ النَّحْلَ-؛ فَكَانَتْ هُنَالِكَ حَامِيَةً لِعَاصِمٍ -عَلَيْهِ الرُّضْوَانُ-، وَحَمَتُ عَاصِمًا عَلَى ضَعْفِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ.

فَقَالُوا: اهْدَأُوا عَنْهُ، حَتَّى إِذَا مَا جَنَّ اللَّيْلُ وَآتَى ظِلَامُهُ فَاخْتَلَطَ؛ أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ فَحَزَزْنَا رَأْسَهُ، فَذَهَبْنَا بِهَا إِلَى سُلَاقَةِ، وَأَخَذْنَا مَا جَعَلْتَهُ جُعْلًا.

فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ، أَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْوَادِيَّ فَذَهَبَ بِجَسَدِ عَاصِمٍ؛ فَلَا يُدْرَى أَيْنَ هُوَ.

وَأَمَّا عُمَرُ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ الْأَمْرُ بَعْدُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ حَيًّا وَمَيِّتًا».

وَهَذَا عَاصِمٌ كَانَ قَدْ عَاهَدَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَهْدًا؛ أَلَّا يَمَسَّ مُشْرِكًا فِي حَيَاتِهِ أَبَدًا؛ فَاتَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَلِكَ حَيًّا وَمَيِّتًا؛ فَلَمْ يَمَسَّ مُشْرِكًا، وَلَمْ يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ؛ لَا فِي حَيَاتِهِ وَلَا مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِ، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

فِيهَا الدَّمَاعُ، وَقِيلَ: قِحْفُ الرَّجُلِ: مَا انْفَلَقَ مِنَ الْجُمُجُمَةِ فَبَانَ، وَلَا يُدْعَى قِحْفًا حَتَّى يَبِينَ.

وَأَمَّا حُبَيْبٌ وَزَيْدُ بْنُ الدِّثْنَةِ؛ فَإِنَّهُمَا اسْتَأْسَرَا فَأُخِذَا أَسِيرَيْنِ، وَمَعَهُمَا ثَالِثٌ، فَلَمَّا سَارَا تَلَقَّاءَ مَكَّةَ فَكَانَا غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الْمَلْحَمَةُ، حَنَا الثَّالِثُ عَلَى قِيُودِهِ فَتَمَلَّصَ مِنْهَا؛ فَأَخَذَ سَيْفَهُ مُسْلِطًا مُشْهَرًا، وَأَخَذَ يُجَالِدُ مُجَاهِدًا حَتَّى قَضَى قَضَى فَمَضَى.

وَأَمَّا حُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَعَهُ زَيْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَحُمِلَا أَسِيرَيْنِ حَتَّى دُخِلَ بِهِمَا مَكَّةَ، وَافْتَدَتْ (هُذَيْلٌ) بِهِمَا أَسِيرَيْنِ لَهَا كَانَا هُنَالِكَ مَأْسُورَيْنِ عِنْدَ قُرَيْشٍ؛ فَأَخَذَتْ (هُذَيْلٌ) فِي مُقَابِلِ زَيْدٍ وَحُبَيْبٍ أَسِيرَيْنِ مِنْ (هُذَيْلٍ)، ثُمَّ مَضُوا.

وَأَمَّا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ؛ فَإِنَّهُ أَخَذَ زَيْدًا لِكَيْ يَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ فِي بَدْرٍ، وَذَهَبَ إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمٍ^(١)؛ فَقَالَ: «لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِ زَيْدٍ بِأَبِي».

(١) جزء من عجز بيت: (فَشَدَّ وَلَمْ يَنْظُرْ بَيُوتًا كَثِيرَةً... لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمٍ)،

وهو من الطويل لأحد فحول شعراء العرب، وهو: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، المتوفي قبل البعثة بعام، في معلقته المشهورة وأولها:

أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ... بِحُومَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمَتَشَلِّمِ

«شد»: يقال: شد على عدوه إذا حمل عليه ليقْتُلَهُ، «ولم ينظر بيوتًا»، أي: لم يؤخره «بُيُوتًا كَثِيرَةً» أي أهلها أنه مصمم على قتل الرجل وحده، و«أم قشعم»: هي الحرب والمنية والداهية، وأراد بـ«أَلْقَتْ رَحْلَهَا»: منزل المنية، أي: محل حلولها، وقال أبو عبيدة: أم قشعم: العنكبوت، والمعنى: شد على صاحب ثأره بمضيعة من الأرض؛ قد بنت العنكبوت فيها بيوتها.

انظر: شرح «المعلقات السبع» للزَّوْزَنِي: (ص ١٤٦، البيت ٣٦).

فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا أَخَذَ إِلَى التَّنْعِيمِ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِ، أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ عَلَى زَيْدٍ فَقَالَ: «يَا زَيْدُ! نَشَدْتُكَ اللَّهَ! أَتُحِبُّ أَنَّكَ فِي بَيْتِكَ عَلَى فِرَاشِكَ فِي الظِّلِّ الظَّلِيلِ وَالْمَاءِ النَّمِيرِ، لَا يَرُوْعُكَ طَائِفٌ مِنْ خَوْفٍ، وَلَا يَنْزِلُ بِكَ طَارِئٌ مِنْ هَمٍّ، وَإِنَّمَا أَنْتَ فِي الظِّلِّ الظَّلِيلِ، وَأَنْتَ فِي الْمَاءِ النَّمِيرِ، وَعَلَى الْفِرَاشِ الْوُطِيِّ، وَأَنْ مُحَمَّدًا فِي مَكَانِكَ؟!!».

فَقَالَ زَيْدٌ: «لَقَدْ أَبْعَدْتَ النَّجْعَةَ؛ وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنِّي فِيْمَا ذَكَرْتَ مِنَ الْهِنَاءَةِ، وَأَنْ مُحَمَّدًا فِي مَكَانِهِ - لَا فِي مَكَانِي - يُشَاكُ بِشَوْكَةٍ وَاحِدَةٍ!!».

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَمِثْلِ حُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا!!» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

لَا غَرَوْ! فَعَرَوْهُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ فِي يَوْمِ الْحُدَيْبِيَةِ لَمَّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمُفَاوِضًا فَكَانَ عِنْدَهُ، وَجَدَ الْأَصْحَابَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَيْنَ نَبِيِّهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَوْلِهِ، لَا يَتَوَضَّأُ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ إِلَّا وَقَعَ وَضُوءُهُ فِي يَدٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَلَا يَبْصُقُ بُصَاقًا وَلَا يَبْزُقُ بُزَاقًا وَلَا يَتَنَحَّمُ نَحْمَةً إِلَّا وَقَعَ فِي يَدٍ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ، وَاسْتَقْبَلَ بِهَا مَا يَسْتَقْبَلُ مِنْ جَسَدِهِ.

وَرَأَى الْأَصْحَابَ عِنْدَ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حُبًّا مُجَسَّدًا، وَمَحَبَّةً قَائِمَةً، وَطَاعَةً مُطْلَقَةً لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمْرًا وَنَاهِيًّا، بَلْ نَاطِرًا وَشَاخِصًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَالَ: «إِنَّهُ لَعَجَبٌ! لَقَدْ أَتَيْتُ كِسْرَى فِي سُلْطَانِهِ، وَأَتَيْتُ قَيْصَرَ فِي سُلْطَانِهِ، وَالنَّجَاشِيَّ فِي مَلِكِهِ، فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا مِثْلَمَا وَجَدْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ

يُحِبُّونَ مُحَمَّدًا»^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَقُولُ زَيْدٌ: «وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنِّي فِيَمَا ذَكَرْتَ مِنَ الْهَنَاءَةِ وَالنَّعِيمِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُشَاكُ شَوْكَةً وَاحِدَةً»، ثُمَّ أَخَذَ زَيْدٌ فَرَاخَ شَهِيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَأَمَّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهُوَ الَّذِي أَثَرَهُ عَنْهُ قَوْلُهُ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ، وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ
إِلَى آخِرِ مَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَمَّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ جُعِلَ هُنَالِكَ عِنْدَ حُجَيْرِ بْنِ أَبِي إِيَّابٍ فِي قَتِيلٍ كَانَ لَهُ قَدْ قَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ قَبْلُ؛ فَعَهَدَ بِهِ حُجَيْرٌ إِلَى مَوْلَاةٍ لَهُ تُسَمَّى مَاوِيَّةَ، فَقَالَ:

(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: (٥ / ٣٢٩ - ٣٣٣، رقم ٢٧٣١)، من حديث: المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَرْوَانَ، قَالَا:

«خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ...» فذكرنا حديث صلح الحُدَيْبِيَّةِ، وفيه: «أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، وَقَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنْخَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهٌ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ».

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكَيْسَرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا.

«دُونَكَ هَذَا الْأَسِيرَ»، وَهُوَ فِي أَغْلَالِهِ يَرْسُفُ فِيهَا وَفِي قَيْودِهِ وَسَلَسِلِهِ؛ فَكَانَ عِنْدَهَا مُحَصَّلًا.

وَأَمَّا هَذَا الرَّجُلُ، فَكَانَتْ تَنْظُرُ عَلَيْهِ مَاوِيَّةٌ مِنْ صِيرِ الْبَابِ -يَعْنِي مِنَ الْخِصَاصِ الَّذِي يَكُونُ هُنَالِكَ بَيْنَ الْوَاحِ مِنْ شِقِّ هُنَالِكَ-.

قَالَتْ: «كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى خُبَيْبٍ مِنْ صِيرِ الْبَابِ؛ فَأَجِدُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ قِطْفٌ مِنَ الْعِنَبِ كَمِثْلِ رَأْسِ الْبَعِيرِ؛ كَأَكْبَرَ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ قَطُّ، وَوَاللَّهِ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ عِنَبَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ».

وَأَمَّا خُبَيْبُ الْجَادِّ الْمُتَرَفِّعِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَدَنَّى قَطُّ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ اسْتِوَاءِ الْمَنْهَجِ بِوُضُوحِهِ لَا يَخْتَلِطُ عَلَيْهِ مَرَأًى وَلَا يَنْبَهُمْ فِي نَظَرِهِ وَتَحْتَ عَيْنِهِ مَشْهَدٌ، الْأَمْرُ لَا غَبْشَ فِيهِ وَلَا اخْتِلَاطَ، وَإِنَّمَا هُوَ وَاضِحٌ وَضُوحًا مُطْلَقًا كَأَعْظَمِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ يَوْمًا مِنْ وَضُوحٍ قَطُّ، لَا يَشْتَبَهُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَقَلْبُهُ قَدْ اسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ؛ فَأَصْلُهُ ثَابِتٌ وَفَرْعُهُ فِي السَّمَاءِ يُؤْتِي أَكْلَهُ كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

وَرَبُّكَ يُعْطِي مَا يَشَاءُ كَيْفَمَا يَشَاءُ وَوَقْتَمَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَمَّا خُبَيْبٌ فِي أَغْلَالِهِ، فَلَمَّا أَعْلِمَ بِيَوْمِ تَنْفِيذِ الْحُكْمِ فِيهِ، وَبِسُوقِهِ وَحَمْلِهِ إِلَى هُنَالِكَ إِلَى (التَّعْصِيمِ) مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقْتَلَ فَيُصْلَبَ بَعْدُ؛ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَنِي مُوسَى حَتَّى أَسْتَحِدَّ بِهَا، وَأَتَطَهَّرَ لِلِقَاءِ رَبِّي، لِلْقَتْلِ؛ لَكَانَتْ يَدًا لَكَ عِنْدِي مَذْكُورَةً، وَكَانَتْ عَطِيَّةً لَكَ عِنْدِي مَشْكُورَةً».

فَقَالَتْ: «أَفْعَلُ»، ثُمَّ أَتَتْ بَغْلَامٍ فَأَعْطَتْهُ الْمَوْسَى -حَدِيدَةً مَسْنُونَةً كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ-.

فَقَالَتْ: «دُونَكَ؛ فَادْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ فِي أَغْلَالِهِ فَأَعْطِهِ الْمَوْسَى، ثُمَّ أَتْنِي».

وَذَهَبَ الْغْلَامُ إِلَى خُبَيْبٍ؛ فَأَكْرَمَ خُبَيْبٌ وَفَادَتْهُ.

وَأَمَّا مَاوِيَّةُ فَبَعْدَ أَنْ ذَهَبَ الْغْلَامُ بِالْحَدِيدَةِ بِالسَّلَاحِ إِلَى هَذَا الْأَسِيرِ؛ قَالَتْ: «وَيَحِي مَا صَنَعْتُ؟! لَقَدْ أَتَيْتُ الرَّجُلَ الْآنَ ثَارُهُ، وَأَعْطَيْتُهُ مُرَادَهُ، وَإِنَّهُ الْآنَ لَقَاتِلٌ لِلْغْلَامِ، وَإِنْ دَمَهُ لَيَتَرَاوِي تَحْتَ نَاطِرِي؛ فَيَا وَيَحِي! ثُمَّ يَا وَيَحِي!»، وَأَتَتْ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِ الْغْلَامِ؛ فَوَجَدَتْ الْغْلَامَ عِنْدَ خُبَيْبٍ مُكْرَمًا مُعَزَّزًا.

فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا خُبَيْبٌ فَقَالَ: «أَخَشِيتَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ أَخَشِيتَ أَنْ أَعْدُوَ عَلَيْهِ؟ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ قَطُّ!!».

اسْتَوَاءٌ فِي الْمَنْهَجِ بَوْضُوحٍ لِلرُّؤْيَا مِنْ غَيْرِ مَا التَّوَاءِ وَلَا عِوَجٍ، وَلَا أَمْتٍ؛ وَإِنَّمَا هِيَ اسْتِقَامَةُ الرُّؤْيَا عِنْدَ وَضُوحِ الْمَنْهَجِ مِنْ غَيْرِ مَا اخْتِلَاطٍ قَطُّ. وَرَبُّكَ يَهَبُ مَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ثُمَّ حُمِلَ إِلَى التَّنْعِيمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا كَانَ هُنَالِكَ قَالَ: «لَوْ تَرَكْتُمُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ لِلَّهِ رَكَعَتَيْنِ لَكَانَ حَسَنًا».

فَقَامَ فَصَلَّى، فَأَوْجَزَ.

وَاسْتَوَاءُ الْمَنْهَجِ بِوُضُوحِهِ يَتَجَلَّى..

فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى صَلَاةَ رَكْعَتَيْنِ عَنِ الْقَتْلِ صَبْرًا؛ فَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا بِي الْجَزَعَ لَأَطَلْتُ فِيهَا مَا شَاءَ اللَّهُ».

ثُمَّ يَقُولُ -كَمَا قَالَ عَاصِمٌ قَبْلُ-: «اللَّهُمَّ أَعْلِمْنَا نَبِيَّكَ، وَأَخْبِرْنَا رَسُولَكَ».

ثُمَّ إِنَّهُ حُمِلَ فَكَانَ هُنَالِكَ مَصْلُوبًا، وَاعْتَدِيَ عَلَيْهِ؛ فَذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ شَهِيدًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَهْلِكْهُمْ بَدَدًا^(١)، وَأَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا».

الْفِطْرَةُ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِي الْقَلْبِ عَلَى السَّوِيَّةِ لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ نُورُهَا يَوْمًا مَا، حَتَّى وَلَوْ تَكَاثَفَتْ عَلَيْهَا الظُّلْمَةُ بِأَرْجَائِهَا؛ فَجَعَلَتِ النُّورَ هُنَالِكَ مَخْنُوقًا مَشْبُوحًا عَلَى أَعْمَدَةٍ كَأَنَّمَا نُصِبَتْ لَهُ مَشَانِقُ فِي جَوْفِ ظُلُمَاتِ السَّعِيرِ.

وَأَمَّا الْفِطْرَةُ فَلَا تَزَالُ تَتَأَلَّقُ حِينَئِذٍ بَعْدَ حِينٍ.

وَيَحْكُ! خَلَّ عَنْ فِطْرَتِكَ حَتَّى تَنْطَلِقَ، حَتَّى تَنْسَاحَ كَمَا يَنْسَاحُ يُنبِغُ النُّورُ يُبَدِّدُ الظَّلَامَ مِنْ جَوْفِهِ مَا يَزَالُ يَخْرُجُ شَفِيفًا رَقِيقًا، ثُمَّ مَا يَزَالُ يَنْسَابُ مُنْسَرِحًا حَتَّى تَمْتَدَّ ظِلَالُهُ بِأَرْكَانِهِ عَلَى أَرْكَانِ الْكَوْنِ؛ فَإِذَا جَحَافِلُ الظُّلْمَةِ تَظَلُّ مُوَلِّيَّةٌ مُدْبِرَةٌ الْأَعْقَابِ لَا تَلْتَفِتُ، وَمَا تَزَالُ مَقْتُولَةٌ هُنَالِكَ وَالنُّورُ بِفُجْهٍ فِي كُلِّ فَجٍّ يَسْطَعُ بِأَنْوَارِهِ يُبَدِّدُ ظُلُمَاتِ النَّفْسِ فِي أَطْوَائِهَا وَنَوَاحِيهَا.

(١) «بَدَدًا»: مُتَفَرِّقِينَ.

خَلَّ عَنْ فِطْرَتِكَ، فَإِنَّ فِطْرَتَكَ مَحْبُوسَةٌ!!

وَخَلَّ عَنْ نُورٍ فِي قَلْبِكَ؛ فَإِنَّهُ هُنَالِكَ قَدْ شَتَقَ عَلَى عُودِ هُنَالِكَ قَدْ رُكِّزَ فِي
جَوْفِ الظُّلُمَاتِ!!

فَخَلَّ عَنْ فِطْرَتِكَ، وَخَلَّ عَنْ نُورِهَا حَتَّى يَنْسَاحَ؛ وَحِينَئِذٍ يَنْشَرِحُ الصَّدْرُ،
وَيُشْرِقُ الْوَجْهُ، وَحِينَئِذٍ يَنْطَلِقُ اللِّسَانُ وَيَنْطَلِقُ مَعَ انْطِلَاقِ اللِّسَانِ عَلَى الصِّرَاطِ
الْأَقْدَامِ.

فَالسَّمْتُ وَاضِحٌ، وَالْغَايَةُ مُشْرِقَةٌ دَانِيَةٌ، وَالنَّبْعُ عَلَى ضَرْبَةِ مِعْوَلٍ؛ فَهَلْ مِنْ
ضَارِبٍ؟!!

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

أَبُو سُفْيَانَ كَانَ مَا يَزَالُ عَلَى كُفْرِهِ، وَكَذَا مُعَاوِيَةُ، وَالْقَوْمُ هُنَالِكَ يَنْظُرُونَ فِي
فُرْجَةٍ عَظِيمَةٍ كَمَا يَتَجَمَّعُ الْأَطْفَالُ وَقَدْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ غَرَارَةُ الطُّفُولَةِ، وَحَلَّتْ
مَحَلَّهَا شَيْطَنَةٌ أَتَتْ بِالصَّبَا، بِكُلِّ زَمَانٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ قَاتِلَةً شَانِقَةً لِبَرَاءَةِ
الطُّفُولَةِ عَلَى ذَلِكَ النُّصْبِ الَّذِي يَكُونُ عَلَى أَعْتَابِ الْإِحْتِلَالِ كَمِثْلِ الْأَطْفَالِ إِذَا
مَا ذَهَبَتْ عَنْهُمْ بَرَاءَةُ الطُّفُولَةِ، وَوَلَّى عَنْهُمْ طُهُرُ الصَّبَا!!

وَقَفَ الْكُفَّارُ يَتَفَرَّجُونَ!! أَيَّ شَيْءٍ؟!!

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُقْتَلُ كَمَا يُقْتَلُ النَّاسُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَعَلَى كُلِّ صَعِيدٍ، مَا
هُوَ؟!!

هُوَ مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ شَامِخٌ جَدًّا، لَيْسَ رَجُلًا، بَلْ هُوَ طَوْدٌ وَلَا كَمِثْلِهِ
الْأَطْوَادُ، بَلْ هُوَ جَبَلٌ تَتَقَاصَرُ دُونَهُ هَامَتِهِ دُونَ قَامَتِهِ هَامَاتُ شَمِّ الْجِبَالِ.

مَا يَكُونُ؟؟

رَاسِخٌ فِي الْأَرْضِ جَدًّا، وَهَامَتُهُ فَوْقَ عُليَا السَّمَاوَاتِ، وَقَدْ دَانَتْ سَاقُ
الْعَرْشِ بِسَجْدَةِ الْقَلْبِ الَّتِي لَا يَقُومُ مِنْهَا إِلَّا عِنْدَ الْبَعْثِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بَيْنَ يَدَيِ
الْكَرِيمِ الْمُتَعَالِ.

لَيْسَ رَجُلًا، وَإِنَّمَا هُوَ أُسْطُورَةٌ خَارِقَةٌ مِنْ تِلْكَ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي تَمُرُّ عَلَى
الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ فَتَأْخُذُ بِزِمَامِهَا لِكَيْ تَرْفَعَهَا عَنْ وَحْلِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا لِقَوْلِ لِلْعَالَمِ:
نُمُودَجٌ مُتَفَرِّدٌ فَرِيدٌ يَتَحَدَّى الْعَالَمَ بِشُمُوحِهِ، وَيَعْلُو فَوْقَ الْقِمَمِ فَوْقَ الْهَامَاتِ.

وَهَلْ يُنْكِرُ فَضْلَ امْرِئٍ عَلمَ لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمٌ!!

دَعِ الشُّهْرَةَ الْعَوْرَاءَ تَقْتَادُ جَاهِلًا

عَلَى حُكْمِهَا يَجْرِي وَإِنْ جَارَ أَوْ ظَلَمَ

إِذَا النَّاسُ لَمْ تَعْرِفْ لِذِي الْحَقِّ حَقَّهُ

فَلِلنَّاسِ مِنِّي مَوْطِنُ النَّعْلِ وَالْقَدَمِ^(١)

(١) البيتان بتصرف يسير للكاتب المشهور والأديب النقاد عباس محمود العقاد (المتوفي

سنة ١٩٦٤م) في كتابه: «وحي الأربعين»: متفرقات، (ص ١٦٧-١٦٨)، بلفظ:

دَعِ الشُّهْرَةَ الْعَوْرَاءَ تَقْتَادُ غَافِلًا... عَلَى حُكْمِهَا يَجْرِي، وَإِنْ طَاشَ أَوْ ظَلَمَ

إِذَا الدَّهْرُ لَمْ يَعْرِفْ لِذِي الْحَقِّ حَقَّهُ... فَلِلدَّهْرِ مِنِّي مَوْطِنُ النَّعْلِ وَالْقَدَمِ

وَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَصْلُوبًا، لِكَيْ يَكُونَ نَعْلُهُ فَوْقَ مُسْتَوَى هَامَاتٍ أَعْلَى
الرُّءُوسِ.

أَبُو سُفْيَانَ لَمَّا قَالَ خُبَيْبٌ: «اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَأَهْلِكْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تُبْقِ
مِنْهُمْ أَحَدًا»؛ انْطَرَحَ أَرْضًا، وَأَخَذَ بَرَقَبَةَ مُعَاوِيَةَ؛ فَطَرَحَهُ أَرْضًا: دُونَكَ يَا وَلَدِي!

مَا شَأْنُكَ يَا أَبِي؟!!

تَزْعُمُ الْعَرَبُ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا دُعِيَ عَلَيْهِ فَانْبَطَحَ، فَإِذَا مَا دُعِيَ عَلَيْهِ فَانْطَرَحَ،
كَأَنَّمَا تَمُرُّ الدَّعْوَةُ مِنْ فَوْقِهِ فَلَا تُصِيبُهُ، لَا تُصِيبُهُ الدَّعْوَةُ!!

فَانْطَرَحَ أَبُو سُفْيَانَ أَرْضًا، وَطَرَحَ مُعَاوِيَةَ!!^(١).

مِمَّ يَخْشَى؟!!

=

وزاد بيتا ثالثا:

(إذا جاز بيع الذكر في شرع أمة... فلا كان من ذكر ولا كانت الأمم)

(١) حَدِيثُ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ وَخُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»:

(٦/١٦٥-١٦٦، رقم ٣٠٤٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ عَشْرَةَ عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ...» فذكر حديث الرجيع.

وأخرجه أيضا ابن هشام في «السيرة»: (٢/١٦٩-١٧٣)، وابن سعد في «الطبقات

الكبرى»: (٢/٥٥-٥٦)، والطبري في «تاريخ الرسل والملوك»: (٢/٥٣٨-٥٤٢)،

والحاكم في «المستدرک»: (٢/٢٢٢، رقم ٤٩٧٩)، من طريق: مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ مَرَسَلًا:

قَدِمَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارَةِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فِينَا

إِسْلَامًا، فَأَبْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَنَا فِي الدِّينِ، وَيُفَرِّقُونَا الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُونَا

شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ... فذكر الحديث.

مِمَّ يَخَافُ؟!!

يَخَافُ مِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَ مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ.
يَخَافُ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ خَبِيبٍ، وَلِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِلَّا الصَّحِيحُ.
لَمَّا كَانَ خَائِفًا؛ لِمَاذَا لَمْ يَكُنْ مُتَمَلِّيًا؟!!

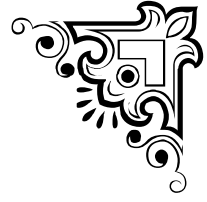
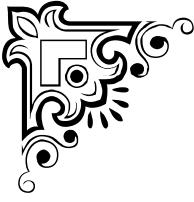
إِنَّهَا ثَوْرَةُ الْعَادَاتِ وَالْعَوَائِدِ فِي الْقُلُوبِ؛ إِنَّهَا غِشَاوَةُ الْوَهْمِ مَا تَزَالُ تَتَرَاءَى
كَالرَّجُلِ الَّذِي يَجْعَلُ عَلَى عَيْنَيْهِ حِجَابًا؛ فَلَا يَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى حَقِيقَتِهَا.
اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا، وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ فِي هَذَا النُّمُودَجِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ فِي أَصْحَابِ الرَّجِيعِ يَوْمَ
الرَّجِيعِ تَرَى أُمُورًا عَظِيمَةً جَدًّا، وَبَاهِرَةً حَقًّا، وَمُبْهِرَةً صِدْقًا!!
وَهَذَا عَاصِمٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَا أَنْزَلَ فِي عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ مُشْرِكٌ أَبَدًا»؛
فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.
وَاسْتَوْسِرَ زَيْدٌ، وَاسْتَوْسِرَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ إِخْوَانِهِ، ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ مِمَّا ذَكَرْتُ
لَكَ!!

وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَقْضِي بِمَا يُرِيدُ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «الثَّبَاتُ عَلَى الدِّينِ» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ

١٤٢٦هـ | ٤-٣-٢٠٠٥م.



صُورٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ أَخْلَاقِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

عِبَادَ اللَّهِ! لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَعَهَّدُ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ وَتَرْكِهِ
النُّفُوسِ وَالْحَثِّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَيُؤَدِّبُهُمْ بِآدَابِ الْوُدِّ وَالْإِخَاءِ وَالْمَجْدِ
وَالشَّرَفِ وَالْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ.

وَبِجَانِبِ هَذَا كَانَ ﷺ يَحُثُّ حَثًّا شَدِيدًا عَلَى الْإِسْتِعْفَافِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ،
وَيَذْكُرُ فَضَائِلَ الصَّبْرِ وَالْقَنَاعَةِ.

وَكَانَ ﷺ يَرْبِطُهُمْ بِالْوَحْيِ النَّازِلِ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ رَبْطًا مُوثِقًا يَقْرَأُهُ عَلَيْهِمْ،
وَيَقْرَأُونَهُ، لِتَكُونَ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِشْعَارًا بِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ حُقُوقِ الدَّعْوَةِ وَتَبِعَاتِ
الرِّسَالَةِ، فَضْلًا عَنْ ضَرُورَةِ الْفَهْمِ وَالتَّدْبِيرِ.

وَهَكَذَا رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعْنَوِيَّاتِ وَمَوَاهِبَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَزَوَّدَهُمْ
بِأَعْلَى الْقِيَمِ وَالْمَثَلِ، حَتَّى صَارُوا صُورَةً لِأَعْلَى قِمَّةٍ مِنَ الْكَمَالِ عُرِفَتْ فِي تَارِيخِ
الْبَشَرِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (المُحَاضَرَةُ الثَّلَاثُونَ: كِتَابَةُ

الصَّحِيفَةِ)، الْخَمِيسُ ٢٤ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠ هـ | ٤-١٠-٢٠١٨ م.

لَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِثَالًا يُحْتَذَى فِي كُلِّ خُلُقٍ فَاضِلٍ وَكُلِّ خَصْلَةٍ مَحْمُودَةٍ، فَكَانُوا أَسْوَةً فِي الْعَفْوِ وَالتَّسَامُحِ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْخَائِضِينَ فِي الْإِفْكِ (مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ)، وَهُوَ قَرِيبٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِسْطَحٌ فَقِيرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لَا يُنْفِقَ عَلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ الَّذِي قَالَ.

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، يَنْهَاهُ عَنْ هَذَا الْحَلْفِ الْمُتَضَمِّنِ لِقَطْعِ النَّفَقَةِ عَنْهُ، وَيَحْتُهُ عَلَى الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، وَيَعِدُّهُ بِمَغْفِرَةِ اللَّهِ إِنْ غَفَرَ لَهُ، فَقَالَ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

إِذَا عَامَلْتُمْ عَيْدَهُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، عَامَلَكُمْ بِذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ: «بَلَى، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي»، فَارْجَعَ النَّفَقَةَ إِلَى مِسْطَحٍ ^(١).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى النَّفَقَةِ عَلَى الْقَرِيبِ، وَأَنَّهُ لَا تُتْرَكُ النَّفَقَةُ وَالْإِحْسَانُ بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ، وَالْحَثُّ عَلَى الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَلَوْ جَرَى مِنْهُ مَا جَرَى مِنْ أَهْلِ الْجَرَائِمِ. (*)

(١) أخرجها البخاري في «صحيحه» (رقم ٢٦٦١) وموضع، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٧٧٠)، من حديث: عَائِشَةُ زَوْجِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَبِ ١٤٣٧ هـ | ٢٩-٤ -

وَكَانَتْ مِنْ أَهَمِّ الْخِصَالِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: الرَّحْمَةُ وَالرَّأْفَةُ؛ فَعَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ «أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ يُقْبِلُ زَيْنَبَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، وَهِيَ ابْنَةُ سَتَيْنٍ أَوْ نَحْوِهِ»^(١). إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

فَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا يُقْبِلُونَ الْأَوْلَادَ الصَّغَارَ مُتَمَشِّينَ فِي ذَلِكَ مَعَ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ وَمُتَأَسِّينَ بِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُقْبِلُهَا^(٢)، وَكَذَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقْبِلُ ابْنَتَهُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٣). (*)

(١) تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ».

وَصَحَّحَ الْإِسْنَادَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٢٨٠).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٥٢١٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٨٧٢)، مِنْ طَرِيقِ: الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ:

«مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ مِنْ فَاطِمَةَ، (كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، ...)» الْحَدِيثُ.

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (٤٦٨٩).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (٥٢٢٢)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْبَرَاءِ، قَالَ:

«دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَأَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهَا: (كَيْفَ أَنْتِ يَا بَنِيَّةُ؟)، وَقَبَّلَ خَدَّهَا».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: قُبْلَةُ الرَّجُلِ الْجَارِيَةِ الصَّغِيرَةِ)

[ص: ١٦٤٦-١٦٥٠].

وَعَنْ قُبَيْصَةَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرَحَمُ، وَلَا يُغْفَرُ مَنْ لَا يَغْفِرُ، وَلَا يُعْفَ عَمَّنْ لَمْ يَعْفُ، وَلَا يُوقَّ مَنْ لَا يَتَوَقَّ»^(١).
وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الرَّحْمَةُ وَالْمَغْفِرَةُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَسْبَابِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ بَيْنَهُمْ، وَالْإِسْلَامُ يَحُثُّ عَلَى غَرْزِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَصِفَةِ الرَّحْمَةِ فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ.

فَالَّذِي يَطْمَعُ فِي رَحْمَةِ رَبِّهِ وَمَغْفِرَتِهِ عَلَيْهِ أَنْ يَرْحَمَ النَّاسَ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، وَأَنْ يُسَامِحَهُمْ، وَأَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَذَبَّرَ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢]. (*)

وَمِنْ أَعْظَمِ مَعَالِمِ رَحْمَةِ الصَّحَابَةِ ﷺ: رَحْمَتُهُمْ حَتَّى بِالْحَيَوَانَاتِ؛ فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ فَأَرْحَمُهَا، أَوْ قَالَ: إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا».

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «الزُّهْدِ» (٨٢)، وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «السِّيَاسَةِ» (إِتْحَافِ الْمَهْرَةِ) (١٥٧٤٥)، مِنْ طَرِيقٍ: عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُفَيْرٍ، عَنْ قُبَيْصَةَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ عُمَرَ، بِهِ.
وَأَخْرَجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ الضَّبِّيُّ فِي «الدُّعَاءِ» (١٤٧) (ص ٤٤٧)، قَالَ: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عُمَرَ، بِهِ.
وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٢٨٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: قَوْلِ الرَّجُلِ لِلصَّغِيرِ: يَا بُنَيَّ!)

[ص: ١٦٧٢-١٦٧٧].

قَالَ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ» مَرَّتَيْنِ^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» وَفِي غَيْرِهَا.

قَوْلُهُ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ»: كَمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ». فَمَنْ رَحِمَ رُحِمَ، سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ الرَّحْمَةُ لِنَاسٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ طَائِرٍ أَوْ نَحْوِهِ.

وَالرَّحْمَةُ تَقْتَضِي عَدَمَ ذَبْحِ الشَّاةِ بِحَضْرَةِ أُخْرَى، وَأَلَّا يُجَدَّ الشَّفَرَةُ أَمَامَهَا فَهَذَا مِنَ الرَّحْمَةِ بِهَا؛ فَقَدْ مَرَّ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ وَهُوَ يَجِدُّ شَفَرَتَهُ، وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا، فَقَالَ: «أَفَلَا قَبْلَ هَذَا؟ أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَيْنِ؟!!». رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»، وَ«الْأَوْسَطِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُخَرَّجٌ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٥٥٩٢) (٢٠٣٦٣)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الْأَحَادِ وَالْمَثَانِي» (١١٠٠)، وَالْبَزَّازُ (٣٣١٩)، وَالرُّوْيَانِيُّ (٩٤٢)، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «الْمُعْجَمِ» (١٢٧٩)، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٣/١٩) (٤٥)، وَالْحَاكِمُ (٧٥٦٢)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (١٠٥٥٨)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشَقَ» (٢١٥/١٩) (٢٣١٤)، مِنْ طَرِيقٍ: إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ ابْنُ عَلِيَّةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ مَخْرَاقٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، بِهِ.

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٢٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٣٥٩٠)، وَفِي «الْكَبِيرِ» (١١٩١٦)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (١٩١٤١)، وَالضَّيَّاءُ فِي «الْمُخْتَارَةِ» (١٥٤/١٢) (١٧٤)، مِنْ طَرِيقٍ: عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةً عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

هَذَا الْخُلُقُ لَا يَتَجَزَّأُ - خُلُقُ الرَّحْمَةِ لَا يَتَجَزَّأُ - كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي خُلُقِ الرَّحْمَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَتْ رَحْمَتُهُ عَامَّةً وَغَامِرَةً وَشَامِلَةً، وَقَدْ شَمِلَتْ الطُّيُورَ وَالْحَيَوَانَاتِ، بَلْ شَمِلَتْ الْحَشَرَاتِ لَمَّا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِ الْحَشَرَاتِ حَرْقًا، وَدُونَ ذَلِكَ فِي الْإِثْمِ أَنْ تُقْتَلَ بِالْمَاءِ إَغْرَاقًا، فَهَذَا إِثْمٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ بِالنَّارِ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهَا^(٢)، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ تَبْدُو مَظَاهِرُ رَحْمَتِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ﷺ.

=

وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ» (٨٦٠٨)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَهُ مُرْسَلًا.

وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٧٥٦٣) (٧٥٧٠)، مِنْ طَرِيقٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِهِ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٢٤).

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٧٩١٣) (٧٩١٥)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٨/ ٣٦٢ - ٣٦٣) (٢٠٠٤)، وَتَمَامٌ فِي «الْفَوَائِدِ» (١٢٤٥)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (١٠٥٥٩)، وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٦٣/ ١١٧)، مِنْ طَرِيقٍ: الْوَلِيدُ بْنُ جَمِيلٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِهِ. وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٢٧).

(٢) أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ (٢٦٧٥) (٥٢٦٨)، مِنْ طَرِيقٍ: الْحَسَنُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرْيَةً مِنْ نَمْلِ قَدْ حَرَقْنَاهَا، فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ».

=

فَهَذَا الْخُلُقُ لَا يَتَجَزَأُ، فَالرَّجُلُ يَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ يَذْبَحَهَا أَوْ يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَ الشَّاةَ فَيَرْحَمُهَا، وَيَسْتَفْتِي فِي ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فيقول: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ». (*)

وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَثَالًا فِي التَّضَحِّيَةِ؛ جِهَادًا فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ؛ فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِيمَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» وَغَيْرِهِ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَهَاجِرُ مَعَكَ.

فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةً، غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبِيًّا، فَقَسَمَهُ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ -كَانَ فِي إِبِلِهِمْ يَرْعَاهَا، فَلَمْ يَكُنْ حَاضِرًا-، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، فَلَمَّا جَاءَ دَفْعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟!!

قَالُوا: قَسَمَ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟

قَالَ: «قَسَمْتُهُ لَكَ».

قَالَ: مَا عَلَيَّ هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ- بِسَهْمٍ؛ فَأَمُوتَ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ.

=

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٢٥) (٤٨٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (بَابُ: أَرْحَمَ مَنْ فِي الْأَرْضِ!) [ص:

فَقَالَ: «إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهُ يَصْدُقْكَ».

فَلَبِثُوا قَلِيلًا، ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ، قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهُوَ هُوَ؟!». قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ اللَّهُ».

ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّتِهِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ -أَيَّ مِنْ دُعَائِهِ-: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَبْدُكَ، خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ».

خُذْ هَذَا السَّبْيَ، فَقَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ! لَمْ أَتَّبِعْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى أَنْ أُحْصَلَ فِي الدُّنْيَا مَغْنَمًا، وَلَا أَنْ أُفِيدَ فِيهَا فَائِدَةً، وَإِنَّمَا اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى بِسَهْمٍ هَاهُنَا، يَخْتَارُ مَيِّتَةً يُؤْتِيهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاهَا كَمَا اخْتَارَهَا، وَيُشِيرُ بِأَصْبُعِهِ إِلَى حَلْقِهِ، أَنْ أُرْمَى بِسَهْمٍ هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ-؛ فَأَمُوتَ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَوَكَّلَهُ اللَّهُ إِلَى صِدْقِهِ مَعَ رَبِّهِ، قَالَ: «إِنْ تَصَدَّقِ اللَّهُ يَصْدُقْكَ».

فَجِيءَ بِهِ مَحْمُولًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَأَكَّدَ مِنْهُ: «أَهُوَ هُوَ?!». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

السَّهْمُ فِي حَلْقِهِ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بِأَصْبُعِهِ، فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ اللَّهُ»، ثُمَّ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْهُ.

هَذِهِ حَقِيقَةُ الدِّينِ، حَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ، حَقِيقَةُ الْعَمَلِ لِخِدْمَةِ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَيْسَ هَاهُنَا شَيْءٌ، الْفَائِدَةُ هُنَاكَ، الْأَجْرُ هُنَاكَ، الْمَثُوبَةُ هُنَاكَ، وَأَمَّا هَاهُنَا فِي الدُّنْيَا؛ فَتَعَبٌ وَنَصَبٌ، وَعَنَاءٌ وَبَلَاءٌ، وَأَلَمٌ وَمَشَقَّةٌ، وَاللَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَيُصْلِحُ الْبَال، وَيُطَمِّنُ الْقَلْبَ.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ. (*)

وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أُسْوَةً فِي غُلُوِّ الْهِمَّةِ وَالتَّسَابُقِ فِي الْخَيْرَاتِ؛ لِنَيْلِ رِضَا رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَبِّي أَصْحَابَهُ عَلَى الْبَذْلِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ، وَيَحْضُهُمْ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «رَغَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّدَقَةِ يَوْمًا، وَقَدْ صَادَفَ ذَلِكَ مَا لَا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتَهُ يَوْمًا.

قَالَ: فَانْقَلَبْتُ إِلَى أَهْلِي، فَاتَيْتُ بِشَطْرِ مَالِي -يَعْنِي بِنِصْفِهِ-، حَتَّى وَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟».

قُلْتُ: مِثْلُهُ.

قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَوَضَعَ مَا أَتَى بِهِ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟».

قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِصَدَقِكَ».

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا جَرَمَ، لَا أَسَابُكَ إِلَى شَيْءٍ بَعْدَهَا أَبَدًا^(١).

فَأَذَعَنَ لَهُ بِالسَّبْقِ، وَصَدَّقَ فِعْلُ أَبِي بَكْرٍ مَا كَانَ فِي نَفْسِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْيَوْمَ
أَسْبَقُهُ إِنْ كُنْتُ سَابِقَهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ! وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَسْبِقْهُ.

وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَكْنِزُونَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، وَلَا يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ؛ بَلْ كَانُوا أَجْوَدَ
الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَطِيَّةٍ، وَهَبَةٍ، وَصِلَةٍ، وَبِرٍّ^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٢ / ١٢٩، رقم (١٦٧٨)، والترمذي في «الجامع»: ٥ / ٦١٤، رقم (٣٦٧٥) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

والحديث حسن إسناده الألباني في «صحيح أبي داود»: ٥ / ٣٦٥ و ٣٦٦، رقم (١٤٧٣).

(٢) أخرج مسلم في «الصحيح»: ٢ / ٧٠٤ و ٧٠٥، رقم (١٠١٧)، من حديث: جَرِيرٌ، قَالَ:
كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ،
مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا
رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَالْآيَةِ الَّتِي فِي
الْحَشْرِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر:
١٨]، «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرٍّ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى
قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبَصْرَةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ
عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا
وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ...»، الحديث.

* الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا الْأُسْوَةَ فِي الْإِيثارِ وَالْعِفَّةِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ، وَالرُّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ، وَيُرِيهِمْ عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جُودُهُ لَا يُبْقِي لَدَيْهِ شَيْئًا مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَيَّتَ ذَا كَبِدٍ رَطْبَةٍ^(١)، حَتَّى إِنَّ رَجُلًا -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»- جَاءَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي مَجْهُودٌ -يَعْنِي بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ مَبْلَغَهُ، بِفَقْرٍ وَعَوَزٍ وَجُوعٍ-!

فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَعْضِ أَيْبَاتِ أَزْوَاجِهِ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟». فَقَالَتْ -وَقَدْ رَدَّتْ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهَا رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ-: «لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا الْمَاءُ».

فَأَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، حَتَّى ذَهَبَ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى أَيْبَاتِ أَزْوَاجِهِ جُمُعَ، وَكُلُّهُنَّ يَقُلْنَ: «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدَنَا إِلَّا الْمَاءُ».

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُضَيِّفُ ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟»
فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: «أَنَا».

لَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَغَبَ دَاعِيًا: «مَنْ يُضَيِّفُ ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ»،
وَعَلَى الرَّفْعِ: «مَنْ يُضَيِّفُ ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ».

(١) أخرج الترمذي في «الجامع»: ٦٤٤ / ٤، رقم (٢٤٧٠)، من حديث: عَائِشَةَ، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا».

والحديث صححه الألباني في «الصحيححة»: ٩٧ / ٦، رقم (٢٥٤٤).

فَقَالَ: «أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ».

فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَانْقَلَبَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، ثُمَّ أَتَى أَهْلَهُ فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟».

قَالَتْ: «مَا عِنْدِي إِلَّا قُوْتُ صَبْيَانِي، مَا عِنْدِي إِلَّا عَشَاءُ صَبْيَانِي».

قَالَ: «فَنَوِّمِيهِمْ، فَعَلَّيْهِمْ؛ حَتَّى إِذَا نَامُوا قَدَّمِي طَعَامَ الصَّبْيَانِ بَيْنَ يَدَيَّ ضَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَوْمِي إِلَى الْمَصْبَاحِ فَأُطْفِئِيهِ!!»؛ يَعْنِي: قَوْمِي إِلَى السَّرَاجِ وَلَا تُطْفِئِيهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إطفَاءً كَامِلاً، وَإِنَّمَا تَقُومُ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَخْفِضَ مِنْ ضَوْوِهِ شَيْئاً، حَتَّى إِذَا جَلَسْنَا نُرِي الضَّيْفَ أَنَا نَأْكُلُ، قَوْمِي إِلَى السَّرَاجِ فَأُطْفِئِيهِ.

فَقَرَّبَتِ الطَّعَامَ، وَقَامَتْ إِلَى الْمَصْبَاحِ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى الطَّعَامِ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ الرَّجُلُ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ قَامَتْ إِلَى الْمَصْبَاحِ فَأُطْفَأَتْهُ.

وَأَكَلَ ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَعَامَ صَبْيَانِ الْأَنْصَارِيِّ بِمَحْضَرٍ مِنْ أُمَّهَمَ، لَا تَجِدُ مَسًّا لِلْحُزْنِ فِي قَلْبِهَا، وَلَا ثَارَةً لِلْوَجْدِ فِي نَفْسِهَا، وَإِنَّمَا تَرَى الْبَذْلَ وَالْجُودَ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ إِطْعَامِ صَبْيَانِهَا، كَذَلِكَ كَانُوا.

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ حَسَنٌ بِشَوَاهِدِهِ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «هَلْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَرَأَيْتُ مِسْكِيناً، وَكِسْرَةً مِنْ خُبْزٍ فِي يَدِ وَلَدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَأَخَذْتُهَا مِنْهُ وَأَعْطَيْتُهَا الْمِسْكِينَ».

فَيَجِدُ وَقَعَهَا بِحَلَاوَتِهَا بِذَوْقِهَا فِي فَمِهِ، وَعَلَى مَعِدَتِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا تَبْقَى بَقَاءً سَرْمَدِيًّا بِثَوَابِهَا وَأَثَرِهَا، وَعَطَائِهَا مِنْ عِنْدِ رَبِّهَا بِعَطَاءٍ لَا يَنْفَدُ، فَيَجِدُ ذَلِكَ أَحْلَى وَأَرْسَخَ فِي ذَوْقِ هَذَا الْفَقِيرِ الَّذِي تَعَرَّضَ وَلَمْ يَسْأَلْ، ثُمَّ يَجِدُ ذَلِكَ أَرْسَخَ ثَبَاتًا فِي نَفْسِهِ وَفِي مَعِدَتِهِ مِمَّا لَوْ كَانَتْ فِي نَفْسِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فِي مَعِدَتِهِ، وَهُوَ فَلَذَةُ كَبِدِهِ.

نَعُودُ إِلَى الْأَنْصَارِيِّ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَطْعَمَ ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ الْمَوْصُوفِ، وَمَضَى اللَّيْلُ يَطْوِي سَاعَاتِهِ طَيًّا، حَتَّى إِذَا انْبَلَجَ الصُّبْحُ، وَإِذَا مَا جَاءَ بِفَلَقِ نِيرٍ مُبِينٍ؛ ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ فَبَشَّرَهُ، فَقَالَ: «عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ؛ عَجَبَ اللَّهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- مِنْ صَنِيعِكَ وَفُلَانَةَ اللَّيْلَةَ مَعَ ضَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

لَا تَبْغِ عَلَى الْإِطْعَامِ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، وَإِنَّمَا تَقْعُ صَدَقَتُكَ فِي يَدِ اللَّهِ، فِيرِييَهَا لَكَ، كَمَا يُرِيي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ؛ يَعْنِي مُهْرُهُ، فَمَا يَزَالُ يَرْبُو وَيَرْبُو حَتَّى تَكُونَ التَّمْرَةُ جَبَلًا مِنْ تَمْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: «يَا رَبِّ! أَنَّى هَذَا، وَمَا امْتَلَكْتُ عَشْرَ مِئَاتِهِ فِي الدُّنْيَا أَبَدًا!!».

يَقُولُ: «صَدَقْتُكَ فِي يَوْمٍ كَذَا، مَا زِلْتُ أُرِييَهَا لَكَ»؛ يَعْنِي: أَزِيدُهَا لَكَ بَرَكَهً، وَعَطَاءً، وَبِرًّا، حَتَّى صَارَتْ إِلَيَّ مَا تَرَى. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «رَمَضَانَ دَعْوَةٌ لِلجُودِ وَالْكَرَمِ» - الْجُمُعَةُ ٤ رَمَضَانَ ١٤٢٦ هـ -

وَرَوَى الشَّيْخَانِ أَنَّهُ لَمَّا آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الْمُهَاجِرِ، وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ سَعْدٌ لِأَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: «إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ، فَاَنْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أَطْلُقَهَا! فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجَهَا».

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟!!»، فَدَلَّوْهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنَقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الْغَدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ -أَي: زِينَةٍ-، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَهْمٌ؟»؛ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ.

فَقَالَ: «تَزَوَّجْتُ».

قَالَ: «كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟»؛ يَعْنِي: مِنَ الْمَهْرِ.

قَالَ: وَزَنَ نَوَاقِدَ مِنْ ذَهَبٍ^(١).

فَكَانَ مِنَ الْأَنْصَارِيِّ الْإِيثَارُ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِيِّ التَّعَفُّفُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ (*).

وَمِنْ أَسْمَى الْأَخْلَاقِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: الرَّجُوعُ لِلْحَقِّ؛ يَقُولُ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ -وَلَمْ يَكُنْ بَدْرِيًّا صَلِيَّةً، وَإِنَّمَا كَانَ مُقِيمًا بَدْرٍ فَنَسِبَ إِلَيْهَا وَلَمْ

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: (٤ / ٢٨٨، رقم ٢٠٤٩)، ومسلم في «الصحیح»:

(٢ / ١٠٤٢، رقم ١٤٢٧)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْمُواخَاةُ بَيْنَ

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)، الْأَرْبَعَاءُ ٢٣ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ | ٣-١٠-٢٠١٨م.

يَشْهَدُهَا-: «كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ!»، فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْعَصَبِ! قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ! اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ!».

قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدَي.

فَقَالَ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ».

قَالَ: قُلْتُ: «لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُوَ حُرٌّ لَوْجِهَ اللَّهِ».

فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلْفَحْتِكَ النَّارَ -أَوْ لَمَسْتِكَ النَّارَ-». (*)

* وَمِنْ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى الْقِيَمَةِ السَّامِقَةِ:

النُّورُ وَتَحَرِّيُ الْحَلَالِ؛ فَالنَّبِيُّ ﷺ عَلَّمَ الْأُمَّةَ الْوَرَعَ، وَعَلَى نَهْجِهِ وَدَرْبِهِ سَارَ مَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ لَهُ غُلَامٌ عَلَى الْخَرَاجِ -يَعْنِي كَانَ مُكَاتِبًا، وَكَانَ صَنَاعَ الْيَدِ ذَا مِهْنَةٍ، فَتَرَكَهُ يَعْمَلُ، يُودِّي إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى أَمَدٍ دِرْهَمًا أَوْ دِرْهَمَيْنِ، فَإِذَا انْقَضَى الْأَمَدُ فَهُوَ حُرٌّ، وَهِيَ الْمُكَاتَبَةُ الْمَعْرُوفَةُ لِمَنْ دَرَى خَبَرَهَا-، فَكَاتَبَهُ فَكَانَ عَلَى الْخَرَاجِ، فَكَانَ يَأْتِيهِ بِخَرَاجِهِ طَعَامًا، فَأَتَاهُ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَهُ، وَكَانَ جَائِعًا، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: أَعْلِمْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ مَا أَكَلْتَ؟

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» الْحَدِيث: ١٧١ - [ص ٨٤٤].

قَالَ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: إِنِّي كُنْتُ قَدْ تَكَهَّنْتُ لِامْرِئٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِكَهَانَةٍ، وَلَا أَحْسِنُهَا، وَإِنَّمَا خَدَعْتُهُ، فَمَرَرْتُ بِهِ الْيَوْمَ، فَأَعْطَانِي الْحُلُوانَ، فَجِئْتُ إِلَيْكَ بِالطَّعَامِ مِنْهُ.

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى نَفْسِهِ، يُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَوْفِهِ، يُرِيدُ أَنْ يَطْرَحَ اللَّقْمَةَ، وَهِيَ لَا تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ!! فَدَعَا بِطُسْتٍ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَقِيءَ فَلَمْ يُفْلِحْ.

فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا أَسْغَتْهُ بِمَاءٍ. فَدَعَا بِمَاءٍ، فَكَانَ يَشْرَبُ وَيُدْخِلُ أَصْبَعَهُ فِي حَلْقِهِ، حَتَّى طَرَحَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ!! يَعْني: وَهَلْ هَذَا يَلْزُمُكَ؟! يَتَعَجَّبُونَ.

فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «وَكُلُّ لَحْمٍ نَبَتْ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»، فَخَشِيتُ أَنْ يَنْبَتْ فِي لَحْمِي شَيْءٌ مِنْهَا»^(١).

(١) أخرجه عبد بن حميد كما في «المنتخب من مسنده» (رقم ٣)، وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر الصديق» (رقم ٥٠ و ٥١، المكتب الإسلامي - ط ٤)، والبزار في «مسنده» (١ / رقم ٤٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (رقم ٨٣ و ٨٤)، والدينوري في «المجالسة» (٤ / رقم ١٣٩١)، وابن حبان في «المجروحين» (٢ / ١٥٤ و ١٥٥، ترجمة ٧٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (٦ / رقم ٥٩٦١)، وابن عدي في «الكامل» (٦ / ترجمة ١٤٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٣١)، والبيهقي في «الشعب» (٧ / رقم ٥٣٧٥ و ٥٣٧٦)، وغيرهم، من طريق: عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَسْلَمَ الْكُوفِيِّ، عَنْ مَرَّةِ الطَّيِّبِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، ... الحديث.

قال الطبراني: «لَا يَرُوى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَقَرَّدَ بِهِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ»، وهو متروك الحديث، وعُدَّ هذا الحديث من منكراته، انظر:

«الميزان» (٢ / ترجمة ٥٢٨٨).

وَمَا تَعَمَّدَ شَيْئًا، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ جَرِيرَةٍ، وَلَكِنَّهُ صَدِيقُ الْأُمَّةِ الْأَكْبَرِ، وَصَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ.

وَقَدْ أَخْرَجَ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ بِتَفْصِيلِ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» فِيمَا صَنَعَ الصَّدِيقُ -رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ-، وَإِنَّهُ لَعَنَاءُ وَأَيُّ عَنَاءٍ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَلْزُمُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مُتَوَرِّعٌ عَلَى قَدَمِ النَّبِيِّ ﷺ، يَتَّقِي الشُّبُهَاتِ.

وَأَمَّا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِيمَا أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ»، أَنَّهُ جِيءَ إِلَى عُمَرَ يَوْمًا بِلَبَنٍ فَاسْتَجَادَهُ، وَقَدْ شَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ؟ فَقَالَ مَنْ سَقَاهُ: كُنْتُ الْيَوْمَ بِظَاهِرِ الْبَادِيَةِ، فَمَرَرْتُ بِإِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَوَجَدْتُهَا عَلَى وُرُودٍ وَقَدْ حَلَبُوهَا، فَجِئْتُكَ مِنْ لَبْنِهَا بِمَا جِئْتُكَ بِهِ.

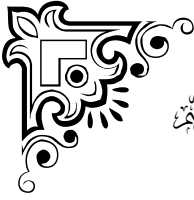
فَأَخَذَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَقِيءُ، حَتَّى طَرَحَ مَا دَخَلَ جَوْفَهُ -رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ- (١).

وَعَلَى دَرَبِهِمَا سَارَ مَنْ بَعْدَهُمَا -رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَرَحِمَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ سَلَفَنَا الصَّالِحِينَ- (*).

والحديث حسنه بشواهد الألباني في «الصحيحة» (٢٦٠٩).

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» رواية يحيى في (كتاب الزكاة، رقم ٣١)، ومن طريقه: أخرجه الشافعي في «الأم» (كتاب قسم الصدقات، باب ١٩، رقم ٨٩٣، دار الوفاء)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ رقم ١٣١٦٤)، وفي «شعب الإيمان» (٧/ رقم ٥٣٨٧)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، مَرْسَلًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «هَذَا يَا الْمُؤْظَفِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ | ١٩ -



شَهَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْسَّابِقِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

لَقَدْ اخْتَصَّ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ بِالنِّسَاءِ؛ لِبَيَانِ سَبَقِهِمْ وَجِهَادِهِمْ وَفَضْلِهِمْ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»^(١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ أَخِذَا بِطَرْفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، قَالَ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ»؛ أَي: فَقَدْ رَكِبَ الْمَخَاطِرَ أَوْ دَخَلَ أَمْرًا عَسِيرًا صَعْبًا، حَتَّى إِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ وَلَا يَلْتَفِتُ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ -يَعْنِي: فَأَغْلَظْتُ لَهُ الْقَوْلَ وَأَخَذْتُهُ بِشَدِيدِهِ- ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ -ثَلَاثًا».

ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَاتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ: «أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟».

فَقَالُوا: لَا.

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رَقْم ٣٦٦١، وَ ٤٦٤٠).

(٢) يَعْنِي: أَهْنَا أَبُو بَكْرٍ؟ نَمَّ: هُنَا.

فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ - يَعْنِي مِنْ شِدَّةِ
الْعَيْظِ وَمِنْ شِدَّةِ الْكَمَدِ عَلَى مَا وَجَدَ الصَّدِيقُ مِنَ الْفَارُوقِ -.

فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ:
«يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ - مَرَّتَيْنِ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - لَمَّا قَالَ الصَّدِيقُ ذَلِكَ وَفَعَلَ -: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ
فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ! وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ! وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا
لِي صَاحِبِي - مَرَّتَيْنِ».

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». (*)

وَقَالَ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ
خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ»، وَفِي لَفْظٍ: «وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي». مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ (٢). (*) (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «فَلَمَّا جَاءَتِ الدُّنْيَا اخْتَلَفْنَا» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ ذِي
الْحِجَّةِ ١٤٢٧ هـ | ١٢-١-٢٠٠٧ م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٤٦٦ و ٣٦٥٤ و ٣٩٠٤)، وَمُسْلِمٌ (رَقْم ٢٣٨٢)، مِنْ حَدِيثِ:
أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْحَدِيثُ - أَيْضًا - فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (رَقْم ٤٦٧
و ٣٦٥٦ و ٦٧٣٨)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (رَقْم ٥٣٢)، مِنْ
حَدِيثِ: جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِي (رَقْم ٢٣٨٣)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُهَذَّبِ زَادِ الْمَعَادِ» - الْمُحَاضَرَةُ
الثَّانِيَّةُ - السَّبْتُ ٢١ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٥ هـ | ٢٢-٣-٢٠١٤ م.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»^(١).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَصَبَّهَا -يَعْنِي الدَّنَانِيرَ- فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُقْلِبُهَا وَهُوَ يَقُولُ: «مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ»، يُرَدُّ ذَلِكَ مِرَارًا^(٢).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَجَفَّ -أَيُّ أُحُدٍ-.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اسْكُنْ أُحُدُ؛ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: (٦١٧/٥، رقم ٣٦٨٢)، من حديث: ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَفِي الْبَابِ عَنْ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ»، وكذا حسنه الألباني في هامش «مشكاة المصابيح»: (١٧٠٤/٣)، رقم (٦٠٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: (٦٢٦/٥، رقم ٣٧٠١)، من حديث: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وكذا حسن إسناده الألباني في هامش «مشكاة المصابيح»: (١٧١٣/٣، رقم ٦٠٦٤).

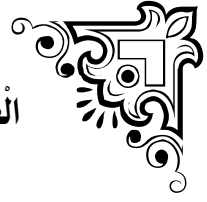
(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٧/٢٢ و ٥٣، رقم ٣٦٧٥ و ٣٦٧٦ و ٣٦٩٩)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَأَمَّا النَّبِيُّ فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَّا الصَّدِيقُ فَابُو بَكْرٍ، وَأَمَّا الشَّهِيدَانِ فَعُمَرُ
وَعُثْمَانُ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْإِبَانَةِ الْكُبْرَى» (الْمُحَاضَرَةُ ١٢١)، الْاِثْنَيْنِ ١٠ مِنْ رَجَبٍ

١٤٣٤هـ / ٢٠-٥-٢٠١٣م.



العِصْمَةُ وَالنَّجَاهُ فِي الْإِقْتِدَاءِ بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

عِبَادَ اللَّهِ! يَعْتَقِدُ أَهْلُ السُّنَّةِ عَظِيمَ فَضْلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَعُلُوَّ مَكَانَتِهِمْ، وَوُجُوبَ حُبِّهِمْ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالتَّوَسُّلِ إِلَيْهِ بِمُؤَالَاتِهِمْ، وَالِدُّعَاءِ لَهُمْ، وَالذَّبِّ عَنْهُمْ، وَأَنَّ الْعِصْمَةَ وَالنَّجَاهَ فِي الْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ وَالتَّزَامِ مِنْهُمْ وَالتَّمَسُّكِ بِسَبِيلِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَجَزَائِهِمْ اللَّهُ خَيْرَ مَا جَزَى أَصْحَابًا وَأَنْصَارًا عَنْ نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ وَمُصْطَفَاهُ، نَقْلَةً وَحَمَلَةً لِدِينِهِ وَشَرْعِهِ وَمِنْهَاجِهِ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ جَلَّ وَعَلَا.

حُبُّ الصَّحَابَةِ إِيْمَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ، كَمَا مَرَّ النَّقْلُ عَنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، هِيَ عَقِيدَةُ الْحَقِّ، عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ لِأَصْحَابِ نَبِيِّنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَا لِبَيْتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَقَّهُمْ، وَأَنْ نَكُونَ مَعَهُمْ عَلَى السَّوِيَّةِ وَالْجَادَّةِ الْمَرْضِيَّةِ، وَلَا نَبْخَسَهُمْ حُقُوقَهُمْ، وَلَا نَغْلُو فِيهِمْ، وَإِنَّمَا بِالْقَصْدِ نَعْتَقِدُ، وَبِهِ نَعْمَلُ، وَإِلَيْهِ نَسْعَى، رَضِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَأَذَلَّ وَكَبَتَ مَنْ أَبْغَضَهُمْ أَوْ دَعَا عَلَيْهِمْ أَوْ مَكَرَ بِأَمْرِ سِيرَتِهِمْ أَوْ حَاوَلَ أَنْ يَحُضَّ الْأُمَّةَ عَلَى كَرَاهَتِهِمْ. (*)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ)، الثَّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٨ هـ | ١١-١٠-٢٠١٦ م.

أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يُعْقَدُ عَلَيْهِمُ الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ؛ نُؤَالِي مَنْ وَالَاهُمْ وَنُعَادِي مَنْ عَادَاهُمْ، وَنُحِبُّ مَنْ أَحَبَّهُمْ وَنُبْغِضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ، وَنَنْصُرُ مَنْ نَصَرَهُمْ وَنَخْذُلُ مَنْ خَذَلَهُمْ.

وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَرْضَى عَنَّا بِتَوَلِّيهِمْ وَحُبِّنَا إِيَّاهُمْ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (*)

اللَّهُمَّ خُذْ بَايَدِنَا إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا، وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَثَقِّلْ مَوَازِينَنَا.

اللَّهُمَّ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ نَبِيِّكَ كَمَا آمَنَّا بِهِ وَلَمْ نَرَهُ، وَلَا تَفَرِّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ حَتَّى تُدْخِلَنَا مَدْخَلَهُ.

اللَّهُمَّ أَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ، وَأَمِتْنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، وَتَحْتَ رَايَتِهِ، وَأُورِدْنَا حَوْضَهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا قَسَاةٌ فَلَيْنَا، قَسَاةٌ فَلَيْنَا، قَسَاةٌ فَلَيْنَا، جُهَلَاءُ فَعَلَّمْنَا، جُهَلَاءُ فَعَلَّمْنَا. (*) (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ أَصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحَمِيدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ: الْوَاجِبُ عَلَيْنَا تَجَاهَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَحُكْمُ مَنْ سَبَّهُمْ، وَذِكْرُ تَبَائِيهِمْ فِي الْفَضْلِ)، الْأَرْبَعَاءُ ١١ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٤هـ | ٢٣-١-٢٠١٣م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «جَانِبٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ شَوَّالٍ

١٤٢٥هـ | ٣-١٢-٢٠٠٤م.

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرْضَى عَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّنَا الْأَمِينِ ﷺ أَجْمَعِينَ،
وَأَنْ يَجْمَعَنَا مَعَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، إِنَّهُ -تَعَالَى- عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ أَصُولِ السُّنَّةِ لِلْإِمَامِ الْحُمَيْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: عَقِيدَةُ
أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)، الثَّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٤ هـ | ٢٢-١-٢٠١٣ م.

الفهرس

٣	مُقدِّمة
٤	عُلُوُّ مَنْزِلَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَسُمُوُّ مَكَانَتِهِمْ
٩	عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
٢٠	تَرْبِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمَ جِيلٍ فِي التَّارِيخِ
٤٢	صُورٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ مَحَبَّةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ
٥١	صُورٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ جِهَادِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الدَّعْوَةِ
٧٠	صُورٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ أَخْلَاقِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
٨٧	شَهَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلسَّابِقِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
٩١	العِصْمَةُ وَالنَّجَاةُ فِي الْاِقْتِدَاءِ بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
٩٥	الفهرس

